16 ème Année No. 786

Lundi — 21 — 9 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شوال سنة ١٣٦٦ — أول سبتمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عود إلى الردود والنقـــود

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

يرى الأستاذ إسماعيل مظهر مرة أخرى فى القتطف أن ترجمة « أنيميزم » Animism بالاستحياء خطأ لأنها ترجمت فى بعض المعجمات العامة بالفكرة الروحانية .

والأستاذ مظهر يعلم ولا شك أننا لم نكن نعجز عن مراجعة المعجمات كما راجعها . ولكننا فضلنا كلمة الاستحياء لأن المعجمات لا تفسر المعانى الفلسفية ، ولأن كلمة الاستحياء أدل على المعنى المقصود من الفكرة الروحانية فى هذا المقام .

فالفكرة الروحانية تلتبس بالمذهب المعارض للفكرة المادية فى تفسير الطبيعة أو تفسير التاريخ ، وكلتاهما لم تكن تخطر للمعجمى على بال ، وإنما كان يؤله الظواهر الطبيعية لأنه كان ينظر إليها كما ينظر إلى الأحياء .

وليست ترجمة « أنيميزم » بالحياة خطأ من الوجهة اللفظية فضلا عن الوجهة المعنوية أو الفلسفية . لأن كلمة أنيما Anima هى أصل كلمة أنيمال Animal ونحن لا نترجم هذه الكلمة بذوات الأرواح بل بالأحياء أو الحيوانات . ولو ترجمناها بذوات الأرواح لأخطأنا فى رأى الدينيين ورأى الماديين على السواء ، لأن الدينيين لا يقولون بالروح فى الحيوان ، والماديين لا يقولون بالروح على الإطلاق .

وليس بصحيح ما قاله الأستا[illegible]

anima تعنى الروح فى أصل وض[illegible]

بهذا المعنى فى كتب أرسطو وغيره

وإنما الصحيح أن أصل معنى « أنيما » anima هو الهواء ، ثم استعيرت لمعنى الحياة أو الروح لأن الأقدمين كانوا يربطون بين التنفس والحياة ، وهكذا نشأت كلمات الروح والنفس والنسمة فى اللغة العربية .

***

ويرى الأســـتاذ مظهر مرة أخرى أن كلمة پوليثيزم Polytheism لا تترجم إلا بكلمة الشرك ولا تصح ترجمتها بتعديد الآلهة .

والصحيح أن ترجمتها بالشرك هى الخطأ وأن ترجمتها بتعديد الآلهة هى الصواب .

لأن الشرك يقتضى الإيمان بإله واحد يعتبر الإيمان بإله غيره مشاركة له ملكه .

والذين عددوا الآلهة قبل التوحيد لم يجعلوا بعضها شريكا لبعض فى الملك ، بل ربما اتخذوا إلها للبحر وإلها للشمس وإلها للغاب ولا مشاركة بينها فى عمل من الأعمال !

ومن الخلط المعيب أن نقول أن الشرك يفيد معنى البوليثيزم

Polytheism لأن الذى يعتقد بالآلهين إثنين مشرك ولا يقال فيه إنه Polytheist وإنما يقال فيه إنه ديالست Dualist كما يعلم الأستاذ .

***

وخذلت المعجات الأستاذ مظهر أكثر من مرة فى هذه المناقشة لأنه راح يعتمد عليها فى تفسير كلمة الديالكتيك Dialectic التى ترجمناها بالثنائية ويأبى الأستاذ مظهر إلا أن تترجم بالجدلية ... ولا جدل هناك حيث استخدمت الكلمة فى مذهب هيجل أو مذهب كارل ماركس أو ما شاء الأستاذ مظهر من المذاهب الفلسفية .

فهيجل يقول بالفكرة ونقيضها فى الثنائية المثالية وكارل ماركس يقول كذلك بالشىء ونقيضه فى الثنائية المادية .

ومعنى « الاثنينية » ظاهر فى المذهبين بل فى كل اصطلاح يرجع إلى « الديالكت » حتى الديالوج الذى يجرى الآن على كل لسان ...

أما لئك يوحى إلى الذهن أن أصل كلمة اللهجة والحوار ملحوظ فيه الكلام بين اثنين .

ومهما يكن من هذا أو ذاك فالثابت قطعاً بغير جدال أن الأثنينية مقصودة فى ديالكتيك هيجل وماركس، وأن الجدل غير مقصود فيهما إلا فى المعجات العزيزة عند الأستاذ إسماعيل مظهر ... والتى يوجد عندنا منها بحمد الله عدد لا يقل عن الوجود منها فى مكتبة الأستاذ العامرة أو مكتبة المقتطف الفيحاء .

وقال الأستاذ مظهر : « إن الذهاب إلى أن مذهب كارل ماركس هو الديالكتيك أمر لم يقل به غير الأستاذ العقاد على ما أذكر وبقدر ما يتسع له علمى ... على أنى أكاد أجزم به ، ذلك بأن مذهب كارل ماركس هو المادية الجدلية ... وشتان بين المذهبين ... » .

والذى قلناه نحن هو « أن مذهب كارل ماركس وهو الديالكتيك يقوم على أن المادة ثنائية الخصائص تشتمل على الخاصة ونقيضها » .

فأين هو الخطأ فى هذا الكلام ؟

الخطأ على ما يظهر فى طريقة الكشف عن الكلمات فى المعجات ، وهى تقتضى الكشف عن الديالكتيك فى حرف الدال ، والكشف عن المادية فى حرف الميم ... وشتان بين الحرفين ! !

وقد عاد الأستاذ مظهر إلى مسألة الوجود والموجودات فأعاد ما قاله الأديب المستفسر « صابر . م » فى عدد مضى من الرسالة فقال — أى الأستاذ مظهر — « إن ذلك قد يقبل فى غير لغة العلم وفى غير لغة الفلسفة لأن هذه اللغة لا تتجوز فى تحديد المعانى الدقيقة لكل لفظ ... » .

فلا نزيد على أن نعيد له ما بدأناه فى الجواب على الأديب المستفسر من كلام الإمام الرازى حيث قال فى المناظرات : « إن كان غرضك إظهار الفرق بين التكوين والمكون بحسب اللفظ والعبارة فإنه يقال كوّن يكوّن تكويناً فهو مكون وذاك مكون فالتكوين مصدر والمكون مفعول . والفرق بين المصدر والمفعول معلوم فى اللغات . إلا أن الفرق الحاصل بحسب اللغات لا يوجب الفرق فى الحقائق والمعانى . ألا ترى أنه يقال عدم يعدم عدماً فهو معدوم ، فالعدم مصدر والمعدوم مفعول . ذلك لا يوجب الفرق بينهما فى الحقيقة » .

ونظن أن الإمام الرازى مفسر القرآن ومفسر مذاهب الفلاسفة يعرف فى اللغة والفلسفة ما يجوز وما لا يجوز .

***

وقال الأستاذ مظهر يعنينا : « أما كلامه فى مذهب التطور فظاهر من عباراته التى ساقها أنه لم يفرق بين البحث فى التطور والبحث فى نشوء الحياة ، إن الأمرين مختلفين جد الاختلاف » .

وهذا كلام لا يجاب عليه إلا بالإيجاز ... ولكن بلغة التحدى التى نبتدىء من الخط الثلث إلى « بنط ٨ » فى المطابع العصرية .

فنقول للأستاذ مظهر : أذكر لنا عالماً واحداً من علماء التطور ، أو كتاباً واحداً من كتب التطور ، أو صفحة واحدة من صفحات كتب التطور ، أو سطراً واحداً من سطورها — يفصل بين التطور وبين نشوء الحياة فى مذهب الماديين .

ونحن فى الانتظار ولا نزيد .

ثم قال : « أما قول الأستاذ أن أجهل هجى لهو أصدق

رجل فى ملابس النساء !

للأســـتاذ على الطنطاوى

قرأت فى (أخبار اليـوم) أن الشرطة عثرت على (فلان) قتيلا فى داره ... وقالت عن هذا القتيل أنه كان يلبس ملابس النساء ، ويفضلها على ملابس الرجال ، لأن أمه لما ولدته كانت ترجو أن يكون بنتاً لذلك دعته (فلانة) وألبسته ملابس البنات ونشأته على ذلك ، وقالت الجريدة أنه كان غنياً واسع الثروة فأراد يوماً أن يؤلف لجنة فى (حزب سياسى) للسيدات يكون هو رئيسها فأوفدت إليه الشرطة من يهدده بالاعتقال والنـفى إلى الطور إن هو فعل .

***

قرأت هذا فوقفت عنده وفكرت فيه ، فوجدت الجريدة قد ساقت هذا الخبر لتعجّب القارئ من أمرين هما : لبس الرجل لباس المرأة ، ودخوله فى لجنة السيدات — وما فى واحد منهما عجب ، ولا أدرى ماذا وجدت فيه الجريدة حتى عجّبت منه القارئ وما دمنا لا ننكر على المرأة أن تلبس لباس الرجل ، وتستعير سراويلاته (بنطالونه) ، وتجزّ شعرها تشبهاً به ، وتتخذ مثل قميصه ورداءه ؛ فلما ذا ننكر على الرجل أن يلبس ثيابها مرة واحدة ؟

ولماذا ننكر عليه دخوله مرة واحدة فى لجنة السيدات ، ولا ننكر على السيدات دخولهن فى لجان الرجال ومشاركتهم فى أعمالهم ، من سوق السيارة إلى تدريس الجامعة وأيهما أعجب وأغرب ، وأبعد عن سنن الله ومألوف الناس ، أأن يرأس رجل لجنة السيدات فى حزب من الأحزاب ، أم أن تقعد آنسة جميلة على منبر التدريس مثلاً ... تعلم شباباً كباراً ... علماً لم تختص هى به ، ولم تنفرد بحمله ، ولم ينقرض الرجال حتى لم يبق لتدريسه إلا هى ، وليست أصلح له ولا أقدر عليه من رجال هم مستعدون للقيام به ، راغبون فى أدائه ؟

فلماذا نستضعف الرجل فنحمل عليه ، ونظلمه هذا الظلم البيّن ، ونهاب الجنس (المخيف) أن نقول لأهله كلمة ، أو نشير إشارة ؟

وأين المساواة بين الجنسين التى ندعو إليها دائماً ، ونتجمل بترديدها ، ونتباهى بها ، ونحن لا نفهم معناها ، ولا ندرى علام تدل وإلام توصل ؟

***

وهل انفرد هذا الرجل وحده بلبسه غير لباسه ، وتزيّيه بغير زيّه ؟ ألسنا نرى كل يوم أناساً يتزيّون بزىّ الصالحين ، ويحملون سبحات المسبحين ، ويقومون فى المساجد مع المصلّين ، ثم لا تعاملهم إلا غشوك ، ولا تخبرهم إلا وجدتهم طلاب مراتب ورواتب ، أو باغى منافع ، ولا تراهم إلا متزلّفين لكل صاحب سلطان ، خاضعين له ، يؤثرون رضاه على رضا الله ، ويخافون غضبه أكثر من غضب الله . إذا رأوا الحرام منه خرسوا عنه ، وإن رأوا المكروه من غيره أقاموا الدنيا عليه ...

ومشايخ طرق ظاهرهم مع مريديهم ظاهر الفقراء الزاهدين ، وحقائقهم مع أهليهم وإخوانهم ، حقائق الفساق الذين ينتهكون كل حرمة ، ويبتغون كل لذة ، ويعيشون حياة ليس فيها شىء لله ولا للشرف .

ألسنا نرى كل يوم عملاء للأجانب ، كالذين ذكرهم الأستاذ ومزى بك ، يدرسون على حساب الأجنبى فى مدارسه ، ويتربون على يديه ، ويسبّحون بحمده ، يتوجهون أنّى وجههم ، ويعملون له فيما استعملهم ، ويعرفهم الناس هم وآباؤهم من قبلهم صنائعه وعبيده ، يلبسون لفأة ثياب الوطنيين المخلصين ، أو دعاة الدين

شعوراً بالعالم من الفيلسوف المصرى الذى يحصر الحياة هذا الحصر العجيب ... فهل نصدق حقيقة أن أجهل همجى هو أصدق شعوراً بالعالم من بلاس وكونت وكانت وداروين وبرجسون ؟ .

وعندنا نحن أن الأستاذ مظهر بحاجة إلى مراجعة برجسون وداروين وكانت ولابلاس ليعلم أنهم لايحصرون العالم، ولايختمونه فى علبة صغيرة ، كالعلبة التى يملكها الأستاذ مظهر على ما يظهر ، ونفضل له أن يملأها بالوهم — من أى صنف من الأصناف — ولا يملأها « بعلم » لم يستند إلى علم ولا إلى فلسفة ولا إلى عقيدة ... اللهم إلا المعجبات وأشباه المعجبات !

عباس محمود العقاد

الصالحين ، ثم يدخلون (بأمر الأجنبي) الحزب أو الجمعية ، فلا يلبثون أن يكونوا هم أربابها ، وأن يقصوا عنها أصحابها ، ثم يصرفونها لمصلحة الأجنبي ، يخدمونه وهم يسبّونه ، قلوبهم وأيديهم معه وألسنتهم عليه ، وعملهم لمصلحته وإن كانت ظواهرهم لمحاربته ؟

أولسنا نرى أغبياء جهلاء يلبسون ثياب العلماء الأذكياء ، وأدنياء يزهون بحلل الأعلياء ، وأعداء يرتدون أردية الأصدقاء ؟

فلماذا نفرد هذا القتيل المسكين بالملامة ، ونخصه بالنقد ؟

* * *

وهل كل من حمل شارب الرجل ، ولبس لباسه ، كان رجلا ؟ لو كان هؤلاء ... كلهم رجالا فهل كان يمكن أن تبقى بلاد العرب إلى اليوم مجزأة مقطعة ، تفصل بينها حدود وأعلام ، يطؤها الأجنبي ويتحكم فيها ، ويستذلها ويستعبد أبناءها ؟ إن الرجال حقاً هم الأربعون الذين كانوا مستخفين في دار الأرقم في أصل الصفا ، فلم تمر عليهم ثلاثون سنة حتى فتحوا نصف الدنيا ، لا هؤلاء الأربعمائة مليون الذين ناموا منذ ثلاثمائة سنة حتى تجرأت عليهم نصف شعوب الدنيا ؟ لو كان هؤلاء رجالا حقاً واجتمعوا على الأسطول الأنكليزي لحملوه حملا على أكتافهم ، ولو نفخوا كلهم نفخة واحدة لطيّروا الجيش الأنكليزي المرابط عند القناة ولو بصقوا كلهم بصقة واحدة لأغرقوا يهود العالم ...

ولكنهم أشباه الرجال ، ولبسهم لباس الرجال لا يقل عجباً وغرابة ، عن لبس هذا القتيل لباس النساء ...

* * *

ولماذا ننكر عليه أن يكون رئيس لجنة السيدات الـ(حزبيات) ولا ننكر على السيدات أن يؤلفن هذه اللجنة ؟ وما للسيدات وأعمال الأحزاب ؟ إنه إن دخل فيها فهذا عمله ، وهذا مكانه ، ليس هو الطارىء الواغل فيه ، ولكن السيدات المحترمات ... فهن أولى بالإنكار ، وأحق بالمنع ، لا احتقاراً لهن وزراية عليهن بل إكراماً لهن ، وترفعاً بهن أن ينزلن إلى هذه المنزلة ، وينحططن إلى هذه الدركة ، وهل جنى الرجال من الحزبيات في بلادنا خيراً حتى يجنيه منها النساء ؟ هل رأينا فيها إلا الفرقة والانقسام ، واستغلال نفر منا إخلاص المخلصين ، واندفاع المندفعين ، وطمع الطامعين ، للوصول إلى كراسي الحكم ، والتمتع بأموال الدولة ؟ وماذا يرى المراقب البعيد ، من تبدل الحكومات في هذا الشرق العربي ، وتعاقب الأحزاب عليها ، إلا تبدل الوجوه ، وتغيّر الأشخاص ، أما الأسلوب فهو واحد ، والسياسة واحدة ، يتبدل الوزّان ويبقى الميزان ؟ والميزان مختل ، والكفتان مائل ، والصنجات ضائعات !

* * *

أو لسنا جميعاً مثل هذا القتيل نلبس لباساً لم يفصّل لنا ، ولم يقس علينا ، ولكنه خيط لغيرنا ، فأخذناه كما هو بلا إصلاح ، ومشينا فيه كما يمشي الطفل بحلة أبيه يتعثر بها فيسقط ، فيضحك أهله عليه ، ويسلّيهم بفعله

لقد أخذنا هذه المدنية كما هي ، لم نحكم فيها عقولنا وشرائعنا وطبائع بلادنا ، ولوازم معيشتنا ، كما تفعل كل أمة في الدنيا ، فتستوي الأمم في أصول الحضارات ، وأسس المدنيات ، ولكنها تختلف في التفاصيل ، فلا تبنى البيوت وتخاط الثياب في البلاد الباردة كما تبنى وتخاط في البلاد الحارة ، ولا تخطط المدن في شعاف الجبال كما تخطط في السهول أو على سواحل البحار ، ولا تكون الأطعمة في حدود القطب كما تكون في خط الاستواء ، وما يسوغ ويقبل في بلد قد ينكر ويردّ في بلد ، وما يحسن في لسان من أساليب البيان يقبح في لسان ، وما يجمل في أذن من ألحان الغناء يبشع في أذن ، ليس في الدنيا بلدان متحضران تستوي فيهما هذه الدقائق كلها ، وإلا لما كان معنى لاختلاف الحضارات ، وتعدد الثقافات ، وتكلف مشاق الرحلات ، ولكان السائح الذي يرى فرنسا كأنه رأى ألمانيا ، والذي يبصر أمريكا كأنه أبصر روسيا ، وليس في الدنيا حضارة أصيلة إلا ولها طابع خاص بها ، فما هو طابعنا نحن في حضارتنا الجديدة ؟ ما هو الثوب الذي نلبسه ؟

ادخل أي دار من الدور ، وسر في أي شارع من الشوارع ، في مصر أو الشام أو العراق ، تجد الجواب ، تجد في الدار الواحدة غرفة مفروشة بالبساط والوسادة وفيها فراش على الأرض ، وغرفة فيها أحدث ما صنع من الأرائك والكراسي والنافذ ، ودقق في هذه الغرفة تجد فيها خليطا من الذوق الفرنسي والإنكليزي ، وفي صدرها مرآة من أسلوب عهد لويس الرابع عشر ، وأمامها نضد على الطريقة الأميركية ، وتجد بين الأم وبنتها في اللباس

والعادات والأفكار قرناً كاملا ، وتجد بين الدار وأختها فرقاً هائلا ، فى العمارة والفرش والذوق والترتيب ، مع أنك تدخل بيوت عمارة يسكنها إنكليز أو فرنسيون ، فتحس على اختلاف الغنى والذوق ، أن لها طابعاً عاماً يبدو على كل منها ، وإن تفاوتت درجات ظهوره وخفائه ؛ وتجد فى الشارع ألواناً من الألبسة والأزياء ، يحسبها الغريب أزياء عيد المساخر (الكرنفال) ، وادخل المدارس تجد فى المناهج ، وفى المبادئ العلمية والسياسية والاجتماعية التى تعرض على التلميذ ، وفى آراء المدرسين ومذاهبهم (كرنفالا) آخر ، ولكنه أغرب وأشد اختلافاً ، وأكبر ضرراً ، وفى المبادئ الحقوقية فى التشريع ، وفى المذاهب البيانية فى الأدب ، وفى الصحافة وفى السينما وفى كل شىء (كرنفال) ضخم ، ليس له يوم واحد ينقضى بانقضائه ، ولكنه دائم باق لا انقضاء له

وأنا لا أدعو لنبذ الحضارة الغربية ، بل أدعو إلى أخذ ما ينفعنا منها ، وأن لا نأخذها أخذ العامى للراديو (الراديو) ، لا يفهم منه إلا أنه يأتيه بالأصوات ، فيفتحه على مصراعيه ، ويزعج به الجيران ، ويكرّه إليهم الحياة بجواره ، بل أخذ العالم الذى يعرف وجوه استعماله ، ويدرك تركيبه ، فيصلحه إذا فسد ، ويكمله إذا وجده ناقصاً ، ويصنع مثله أو يخترع أحسن منه ، أى أن نتعلم علومهم ، ونتقن فنونهم ، وندرس أخلاقهم ، ثم نرى ما يزيدنا منها قوة ، وسعادة للفرد منا والجماعة ، وسهولة فى العمل ، ولذة فى المعيشة ، فنأخذه كما هو ، أو نعدله حتى يصلح لنا ، وأن ننقله إلينا ، ونجعله ملكا لنا ، لا أن ننتقل به إلى أمة غير أمتنا ، وطبيعة غير طبيعتنا ، وأن ننظر ما فعله أجدادنا فى أول العهد العباسى ، مع الحضارة الفارسية مثلا فنصنع مثله ، إنهم أخذوا كل نافع فى الطعام والشراب واللباس والمسكن وفنون القول وطرائق الفكر ، ولكنهم لم يصيروا به فرساً ، بل جعلوا به الفرس عرباً ، أما أن نأخذ النافع والضار ، والجليل والحقير ، بلا فهم ولا علم ، فهذا تقليد كتقليد القردة ...

* * *

وبعد ، فلما ذا نفكر على هذا الرجل أنه فقد هزة الرجولة ، واتخذ لباس المرأة ، ولا نفكر على الكثرة الكاثرة من هذه الأمة أنها فقدت عزتها ، واعتدادها بنفسها ، وكبرياءها القومية ، وشعورها أنها أمة هى أعظم الأمم فى الجاهلية وفى الإسلام ، وأنها إن قدر عليها أن تذل حيناً ، فما من أمة إلا وقد ذلت مرة ، ولكنها لن تذل مرة أخرى ، ولن تعود إلى الغفلة والمنام ...

إن رأس أدوائنا هو هذا اللطف ، والحرص على أن نكون مؤدبين ، لا نؤذى محدثنا أو جليسنا . هذا اللطف وهذا الإكرام للضيف هو الذى جرأ علينا الأجانب ، جنوداً وتجاراً ، حتى ملكونا بجيوشهم ومعاملهم وشركاتهم ومتاجرهم ، ولا خلاص لنا ، أعنى لا خلاص لمصر من هذا كله إلا بأربع خلائق يجب على كتابها وصحفيها ومدرسيها وصانعى أفلامها أن يعلموها الناس وأن يخلقوهم بها ، هى حب المال أولا ، وحب المال إن زاد كان مذمة للفرد ونقيصة ، ولكنه لا يكون للشعب إلا خيراً ، وما أفلح شعب لا يحب فى مجموعه المال . وحب الأسفار ثانياً ... كونوا كاخواتكم الشاميين ، هل طلع كوكب إلا على نفرمنهم؟ اقتحموا البحر والصحراء ، إلى أمريكا شماليها وجنوبيها ، وأفريقية أدناها وأقصاها ، والهند واليابان وأوربة ، وما نزلوا بلداً إلا كانوا من كبار تجاره ، ومن وجوه سراته ، عاشوا تحت كل نجم ، وجابوا كل أرض ، وخالطوا كل أمة ...

وترك هذا اللطف ثالثاً ، وتعود الشدة فى الحق ، والثقل على العدو ، والمزاحمة على العيش ، وأن يحس كل مصرى بعد هذا كله ، بل قبل هذا كله ، أن البلد بلده وأنه أحق به من كل خواجة وكل دخيل ، وأن له هو طيباته وخيراته ، وأنه أكرم من هذا الدخيل (كائناً من كان هذا الدخيل) أصلا ، وأعز نسباً ، وأبين لساناً ، وأقوم ديناً ، وأجل أثراً فى الدنيا ، فلا يطأطىء رأسه لأحد ، ولا يحنى هامته لإنسان ، ولا يرضى بالدنية من مخلوق فى الدنيا .

بهذه الأخلاق ننقلب أمة أخرى ، ويرى هؤلاء الأجانب ماذا يصنع الأسد الجريح ، إذا برىء ، بالثعالب التى كانت تلغ من دمه .

والويل يومئذ للثعالب ! !

(القاهرة) **على الطنطاوى**

القسم العاشر :

الاستعمار الفرنسى
فى الجزائر العربية
بولية ١٨٣٠ — بولية ١٩٤٧

« نحن نقص عليك نبأهم بالحق » قرآن كريم

للأستاذ أحمد رمزى بك

إنه نبأ هذه الأمة الجزائرية العربية التى تسكن أرض الجزائر ولها على هذا الوطن الحق الطبيعى التاريخى الثابت الذى لا تضعفه أقاويل فرنسا وادعاآتها لأنه منبعث من ثنايا القرون العديدة التى أمضتها هذه الأمة على أرضها وهى تتمتع بكامل شخصيتها وميزاتها لا يشاركها فيها أى مشارك ولا ينازعها فى أمجادها أى منازع .

إنها قضية تسعة ملايين نسمة من المسلمين تحاول فرنسا أن تجعل منهم قطيعاً فى بلادهم وعلى الأرض التى حملت تاريخ آبائهم وأجدادهم : أتدرى أنهم محرومون من كل حق سياسى أو اجتماعى أو ثقافى ؟ وأنهم لا يستطيعون أن يجهروا بأقوالهم ومشاعرهم ؟ لأن حرية القول وحرية الاجتماع وحرية الصحافة بل حرياتهم الدينية محرمة عليهم .

ولكى تحتفظ فرنسا بإدارتها الاستعمارية وجبروتها تلجأ إلى فرض نوع من الرقابة البوليسية لا يقل عن أشد أنواع الجستابو الذى فرضته المانيا النازية والجيبيو الذى فرضته روسيا السوفيتية على أراضيها : إنها تجعل من إدارة الأمن العام والمكاتب الوطنية أداة للارهاب والتشريد والتجسس وكبت الحريات لدرجة أنها تصرف خمس الميزانية على هذه الأداة البوليسية الجبارة .

تصور حكومة تشترى كيانها وحكمها وإدارتها بأن توزع خمس أموالها على هيئة بوليسية للقمع والارهاب . ماذا يبقى لها أن تفعله في ميادين الحياة العامة ونشر التعليم والصحة ؟ وهى مضطرة أن تحتفظ بجانب هذا بمبالغ للصرف على الجيش والقوات المسلحة الأخرى ؟

لقد عرفنا شاتينيو Chatégneau سكرتيراً عاماً لفوضية فرنسا بسورياً ولبنان ولمحنا فى أحاديثه وأقواله الرجل الفرنسى المتمسك بمبادىء الثورة الفرنسية وتقاليدها النبيلة مما أعلنته عن حقوق الانسان . كان يصرح بهذا وبلاده تحت الحكم النازى وسيطرة جيش الاحتلال ودارت الأيام فإذا به يشغل مركز الحاكم الفرنسى العام : إنه ممثل الجمهورية فى بلاد الجزائر وهاهوذا قد لبس لباس الاشتراكية وجاهر بحقوق الأمم المظلومة ولكنها فى نظره وفى عقيدة أمثاله من اليساريين من اشتراكيين وشيوعيين قاصرة على الأمم الأوروبية وحدها . أما شعوب الشرق وأمم الاسلام فهى فى الجزائر أو شمال أفريقية وفى بخارى وأواسط آسيا سواء فى تحمل الضغط والخضوع لسيطرة الاستعمار الفرنسى أو السوفيتى .

ماذا يقول حاكم الجزائر الاشتراكى ! إنه يقرر فى خطابه الذى ألقاه يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٥ فى المجلس المالى الجزائرى « إن تضخم أرقام الميزانية راجع إلى زيادة عدد الموظفين فى إدارة الأمن العام . »

أى أن حكومة الجزائر الاستعمارية الرجعية التعسفية والتى يوجد على رأسها حاكم اشتراكى ، تشترى وجودها بثمن باهظ من حياة الشعب الجزائرى ، إذ تفرض عليه الجهل الدائم لتعيش مع جيش موظفيها ، إنها تترك الأمراض تسرى وسط جماعاته والمنون تأكل من أطفاله لكى تعيش هى مع جيش من الموظفين الفرنسيين يخدمون مآربها ويؤكدون سلطانها وجبروتها عليه .

وفى الوقت الذى تصرف فيه فرنسا على بوليسها وعيونها هذه الثروة الطائلة من أموال الشعب الجزائرى ، نجد أن ما خصصته من هذه الميزانية للصحة العامة لا يتجاوز أربعمائة وثلاثين مليونا من الفرنكات وما أرصدته منها للتعليم أقل من ذلك بكثير .

لذلك انتشرت الأمراض بين طبقات الأمة وضج المستعمرون حينما تبين لهم أن نسبة القادرين على حمل السلاح من الجنود الوطنيين قد هبطت لأن الأحوال الصحية لم تعد تسعف الأتون الفرنسى بالآلاف المؤلفة من أبناء العرب الجزائريين لدفعها إلى جوفه فى حملاته الاستعمارية وليحولها إلى أشلاء وهيا كل عظمية إنه يطلب المزيد من ضحاياه .

فهذه القوة الجبارة التى تسمى إدارة الأمن العام ، أداة استبدادية تجدها فى تحفز دائم واستعداد قائم للانقضاض على الشعب الجزائرى ، إذا تحرك أو أظهر امتعاضاً إنها تمكن المستعمرين

من إبعاد أمة بأسرها عن دفة الحكم وعن تولى المصالح العامة فى بلادها ، أى تجعل من شعب يزيد تعداده على تسعة ملايين نسمة غريباً فى بلاده ، طريداً فى وطنه منبوذاً على الثرى الذى حمل سطوة آبائه وأجداده ، بل تفعل أكثر من هذا إنها تقيم بينه وبين العالم سدا لا يجعله يبصر شيئاً مما وراءه لأنها تعزله عن الدنيا كما يعزل الموبوء والمجذوم كيلا يرى نور العالم . ألا فليعلم العالم أجمع أن أهل الجزائر محرومون فى بلادهم من قراءة الجرائد العربية التى تأتى إليهم ، وأن لدى المكاتب العامة قواعد لا تسمح لها أن تعير الوطنيين حتى الكتب الفرنسية التى تتحدث عن الحرية وآمال الشعوب .

فهل رأيتم سدا كهذا السد ؟ .

أما فى الميدان الاقتصادى فما من شعب من شعوب الدنيا تحمل ما تحمله الشعب الجزائرى منذ وضعت فرنسا قدمها فى شمال أفريقيا . إنها أخذت تنهب الثروة الوطنية وتصادر أملاك الأهالى وتجعل أراضى الحكومة والدولة وخيرات الأمة وقفا على المستعمرين الفرنسيين ومن لاذ بهم من طريدى الجنسيات الأخرى ... .

ولقد نقل صاحب كتاب تحفة الزائر فى مآثر الأمير عبدالقادر وأخبار الجزائر . أن قائد الجنود الفرنسية رتب مجلسا من رؤساء الجند لضبط الخزائن من الأموال والمهمات الحربية والذخائر فتحصل من ضبطها على ما قيل من الذهب والفضة وقيمة الجواهر ٥٢٧ و ٦٨٠ و ٤٨ فرنكا من الذهب ، ومن الحنطة والشعير ٣ ملايين ومن المدافع والبنادق والبارود والقنابل وغيرها مع ثمن الأملاك الأميرية ٥٠ مليونا .

فهذه الثروة الطائلة التى وقعت غنيمة بأيديهم عند الفتح ، علمتهم طريق الاستحواذ على غيرها فإذا هم من ولاية ١٨٣٠ إلى ١٩٤٧ يسيرون على هذا المنوال من المصادرة والاغتصاب حتى انتهوا بأن فرضوا الفقر والفاقة والإملاق على شعب بأسره .

وهـذه الثروة الطائلة قد غطت ما تكلفته الحملة الفرنسية الأولى من أعباء مالية علاوة على ضياع الديون التى كانت فرنسا مدينة بها لحكومة الجزائر الإسلامية .

أما مصادرة أملاك الوطنيين فسياسة وضعتها فرنسا وقلدتها فيها إيطاليا وإسبانيا وهى تتلخص فى تحديد منطقة خصبة من الأراضى ونزع ملكيتها اغتصابا ونقل سكانها بالقوة منها .

وقد عمدت فرنسا لأول مرة إلى هذه السياسة فى أقاليم القبائل وفى جهة قسنطينة كعقاب أنزلته بالسكان الجزائريين عقب ثورة عام ١٨٧١ ، إذ نزعت ملكية ما مقداره خمسة ملايين من الأفدنة المصرية ، منها مليون فدان من أجود الأراضى الخصبة شردت أصحابها وجعلت هذه الأراضى لإسكان المهاجرين الفرنسيين خصوصا أهالى الألزاس واللورين ، وهم الذين طلب باسمهم الكردنيال لا فيجرى تسليمهم هذه الأراضى وإخراج الأهالى الوطنيين منها بدون أن يعوض أصحابها بشىء .

وقد سارت حكومة الاستعمار على طريقة فرض الغرامات الباهظة وتحصيلها بالشدة المتناهية فأخذت ملايين الفرنكات من أهالى المقاطعات التى قامت بثورة القبائل وعرف الوطنيون الذلة والمسكنة وبيع الأراضى والدور فى سبيل عتق رقابهم .

ولا يزال بعض الإخوان المغاربة الذين لقوا الويل على أيدى فرنسا يحدثون أهل الشام بهذه الكوارث ويقولون لهم أنتم بخير ما دمتم بعيدين عن حكم فرنسا المباشر وهو الذى يمثله قاضى الصلح الفرنسى وحارس الأحراش فالثانى يكتب المخالفات والأول يصدق غيابيا عليها فما يشعر صاحب الملك الوطنى إلا والتنبيه بنزع الملكية يلاحقه فلا يقدر أن يفلت من يدى القضاء إلا وهو مجرد من كل ما يملك .

وبهذه الأساليب والقواعد التعسفية خرجت أجود وأخصب الأراضى الزراعية وأجودها من أيدى الوطنيين وأصبحت تحت يد المستعمرين الفرنسيين ونزلت نسبة أملاك الجزائريين إلى ٣٦ ٪ من الأراضى الزراعية التى كان يملكها الجزائريون إرثا عن آبائهم وأجدادهم .

وأدخل الفرنسيون فلاحة الكروم التى شغلت أكثر من ستة ملايين فدانا وهى كروم مخصصة لأنواع الأنبذة فهبطت مساحات الأراضى المخصصة للحنطة والمحاصيل الحيوية لمعيشة السكان الوطنيين وتعرضت مناطق الجزائر لأخطر المجاعات التى انتابت أفريقيا فى العصور الحديثة نتيجة لتلك السياسة الاستعمارية التى انتزعت من الأهالى أخصب أراضيهم وجعلت منهم عمالا أجراء يعملون لدى الكولون الفرنسى لقاء دراهم معدودة فى أراضى كانوا يملكونها فى الأمس القريب .

فالبلاد الجزائرية التي كانت قبل ١٨٣٠ تكفي سكانها من محاصيلها الزراعية وتصدر من خيراتها الشيء الكثير ، قد أصبحت في موقف اقتصادي يجعلها عالة على غيرها في إطعام سكانها وإعاشتهم ، لأن الاقتصاد الزراعي والإنتاجي الذي فرضته فرنسا عليها لا يتفق مع حياة السكان الوطنيين ومصالحهم وموارد رزقهم وتنظيم أمور معاشهم فهم في فقر مدقع واحتياج دائم ويموت من هؤلاء الآلاف كل سنة بسبب الإملاق والمرض وسوء التغذية .

وقد مات في سنة واحدة حسب التقارير الفرنسية ما يقرب من نصف مليون جزائري إبان المجاعات التي انتابت بلاد الجزائر في إحدى سنوات القرن الماضي ولم تحرك هذه النكبة أحداً من الأجانب الذين لم يشعروا بها وكانوا في رغد من العيش دائم .

إن قيام سلطة حكومية فرنسية بالجزائر أمضت أكثر من مائة عام ، لا يهمها شيء من أمور المواطنين أمر لا يقبله نظام العالم الجديد ولا يمكن أن يسلم به دعاة الحرية ومن يتبجحون بمبادىء رفع الظلم عن الشعوب المغلوبة على أمرها . فهذه حكومة تفرض الامتيازات وحقوق الإنسان لفريق من السكان تمنحه كل الخيرات والباقي منهم أي تسعة أعشار السكان وهم أهل البلاد مجردون من كل حق لهم بل تطاردهم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وتسير بهم نحو التشريد والإفناء .

وفي سبيل إبقاء هذه الحالة تحرم الحكومة الجزائرية الفرنسية أهل الجزائر من حق التعليم وما يتبعه من حق النفوذ الاجتماعي .

فهي منذ سنة ١٨٣٠ أبطلت كافة المؤسسات الثقافية والتعليمية التي كانت قائمة بمدينة الجزائر وفرضت سياسة الجهل المطبق ومحاربة اللغة العربية ، لغة البلاد الرسمية واعتبرتها لغة أجنبية ، بل ذهبت لأكثر من ذلك إذ حرمت تعليم القرآن الكريم في الكتاتيب إلا إذا علمت معه الفرنسية فكم عدد هذه التي يسمح أن تعلم لغة أجنبية فيها ؟ كان هذا القانون بمثابة حرمان الأهالي من تعلم الكتاب الكريم ولا يوجد ما يشبه هذا القانون سوى الإجراءات التعسفية التي فرضتها حكومة فرديناند وايزابلا على أهالي غرناطة المسلمين عندما أوقعهم سوء الحظ تحت بطش قوم نزعت كل عواطف الإنسانية من قلوبهم .

ولعل أعظم ما تمتاز به الإدارة الفرنسية بالجزائر هو محاولة نشر الجهل وتعميم الأمية بين طبقات الشعب الجزائري حتى لا تقوم له قائمة أو يشعر بشخصيته ووجوده .

فقد صرح عميد الجامعة الجزائرية أمام لجنة الإصلاحات الإسلامية في يناير سنة ١٩٤٢ بمدينة الجزائر « أن بين ١٫٢٥٠٫٠٠٠ طفل وطني في سن الدراسة ١٠٠٫٠٠٠ فقط خصصت لهم ٦٩٩ مدرسة ، وأن عدد الأوربيين حسب الإحصاء ٩٠٠٠٠٠ وعدد أبنائهم الذين يتمتعون بالتثقيف والتعليم الابتدائي ٢٠٠٫٠٠٠ طفل خصصت لهم ١٤٠٠ مدرسة »

هذه أرقام تتحدث بنفسها عن سياسة فرنسا إزاء رعاياها المسلمين بالجزائر ولو شئنا أن نقيس حالتهم في درجات التعليم العالي والثانوي لرأينا العجب العجاب ، فإن النسبة لا تتعدى فيها عشرة في المائة بأي حال من الأحوال ، ولم نكن نصدق شيئاً من ذلك حتى عاينا هذا بأنفسنا في بعض المعاهد الفرنسية التي تفرض لأبناء المسلمين نسبة معينة لا تتعداها مهما كانت ظروف أهليهم

وذلك لكي يقترن الإسلام بالجهل وتلصق بالمسلمين ظلماً وصمات التعصب والتأخر وعدم الرقي والخروج عن ركب الحضارة في القرن العشرين .

هذه سياسة أمة تقول أنها أعلنت حقوق الإنسان ونشرت العالم بدين جديد بمبادئه وبالحرية والعدالة والمساواة ، وأنها هدمت بثورتها صروحاً للاستبداد ويزيد الفرنسيون على ذلك قولهم أنهم حملوا أعلام الحرية والرقي والسعادة إلى بلاد الجزائر ، ولقد رأيت فيها تقدم البراهين القوية على سيطرتهم وجبروتهم وإفلاسهم في حكم الجزائر .

ليس لدينا للآن دليل قاطع على توجه العالم نحو المثل العليا بل إن موقف مجلس الأمن إزاء قضايا مصر وفلسطين وأندونيسيا ليس مشجعاً ولعل انقسام الكرة الأرضية إلى معسكرين من أسباب هذه الرجعية القائمة في أنحاء الدنيا .

ولكن الشعوب مهما كانت الظروف القائمة عليها أن تشق طريقها إلى حياة النور وأن تعمل لتتغلب على المصاعب القائمة حتى تفرض شخصيتها وآمالها وأهدافها على العصر الذي تعيش فيه .

سيكون الطريق وعراً أمامنا والعقبات صعبة في صعودنا نحو الحرية والعدالة ولكننا لن نرجع عن طلب معاملة الند للند وأن يعتبرنا العالم مجموعاً حياً راقياً ؛ نملك من حق الرعاية والمعاملة ما يملكه أي مجموع أوربي راق يسير نحو التطور إننا نفضل أن نفنى جميعاً من أن يحاول العالم إرضاءنا بالعرض دون الجوهر أو يلهينا بالاقوال دون الحقائق . إننا نأخذ عقلية أوروبا لنتغلب على جبروت أوروبا .

أحمد رمزي

الخمرة النصرانية ومجالسها
في العصر العباسي

للأستاذ شكري محمود أحمد

اشتهرت الخمرة النصرانية بالجودة والقدم ، كما عرفت برائحتها الذكية وطعمها اللاذع ، فتغنى الشعراء بذكرها ، وفتنوا بنعتها ، فوصفوا الكأس والنديم والنقل والزهر والتحايا (١) والصبوح والغبوق وكل مايتعلق بمجلسها من عزف ونزف وغناء وقيان وسقاة ونهتك وعجون ، وما يتبع ذلك من حوادث مشهورة ، وأخبار مذكورة وقصائد طريفة ونعوت جميلة حفلت بها كتب الأدب والسير والشعر .

وقد نعتت الخمرة بالقدم ، فهي تذكر نوحاً حين شاد الفلك ، بل هي ترب الدهر في قدمها ، عاشت معه ، ودرجت في حجره ، حتى لو أنها احتبت بين الندامى لقصت عليهم قصة الأمم ، وروت لهم حوادث التاريخ . . . وهي عجوز قد علت على الحقب حتى عكفت عليها بنات الدهر ، وعجمت الغير حتى اختمرت بخمار الشيب وهي في رحم الكرم ... ثم هي شقيقة النفس تنفي الهم وتذهب الحزن فتجعل السقيم صحيحاً ، والقبيح جميلا ، والصغير كبيراً . .

وربما عبدها بعضهم ، فأثنى عليها بآلائها ، وسماها أحسن أسمائها ، ونزهها عن الغر القدم الذي لا يعرف لها قدرها ، وخص بها السادة الكرام من كل مطير الكف يطرب للندى ...

وكانت الخمرة عندهم لذة العمر وغاية الغايات ، لا تطيب لهم الحياة إلا بها ، ولا يصفو العمر إلا بين كأس وعود وقينة . . . وقد رضي أبو نواس من الدنيا بكأس وشادن . . وكان الغنم عنده أن يتمتعه السكر ، والغرم أن يلقى صاحياً . . بل تمنى بعضهم سكرة شيطانية قبل موته تترك الصبيان خلفه يتصايحون : يا سكران . ثم يغسل بالخمر ، ويكفن بأوراق الكرم ، ويدفن بعد ذلك إلى جنب كرمة لتروى عروقها عظامه ، وتجعل أقداح الخمر حول قبره ..

***

عرف النصارى بتعتيق الخمر ، كما عرفوا بنظافة الآلة وجودة الشراب ، وجمال الحانات ، وتزيين مجالسها بأصناف الزهر والنقل ، ووصفوا بحسن الخلق ولين الجانب ، ولطف المساومة وصباحة الوجوه وجمال القسمات ، لذلك كان الشعراء والمجان وأهل التهتك والتطرح يقصدون الأديار في الليل والنهار ، ويختلطون بالرهبان والراهبات وفتيان الأديار ، يناديمونهم ويشربون على وجوههم ، فيطربون ويلذون ...

وكان الخلفاء أنفسهم يستقدمون من اشتهر من ندمائهم وعرف منهم لذلك لما أراد الواثق بالله الخليفة العباسي أن يعقد حانتين له ولأصحابه ، إحداهما على شاطىء دجلة والأخرى في دار الحرم(١) « أمر أن يختار له خمار نظيف ، جميل المنظر ، حاذق بأمر الشراب ، ولا يكون إلا نصرانياً من أهل قطربل ، فأتى له بنصراني له ابنان مليحان ، وبنتان بهذه الصفة ، فجعلهم الواثق في الحانتين ، وضم إليهما خدماً وغلماناً وجواري رومية . وأخدم النساء في حانة الحرم ، والرجال في حانة الشط ».(٢)

أما بيوت الشراب التي كانت تخزن فيها الخمور فلم أجد من وصفها لنا غير أحمد بن جعفر بن شاذان في كتابة « أدب الوزير » قال :

« وينبغي لبيت الشراب أن يكون له بابان واسمان وكوتان ، فأما الباب الواسع ففي يسار القبلة من قبل ريح الجنوب ، وأما الباب الضيق فمن قبل الشرق عن يمين القبلة من قبل ريح الشمال ».

« وينزه بيت الشراب عن كل ريح كريه وكل قذر ، وليكن بين كل وعائين من أوعية الشراب ذراع ولتكن مواضع الأوعية

(١) التحايا جمع تحية وهي الرياحين والزهور التي كانت تزين بها مجالس الشراب وكانت تسمى أيضاً العمارة والنوار ومنه قول الأعشى :

فلما أتانا بيد الكرى سجدنا له ورفعنا النوارا

وكانوا إذا دخل عليهم داخل رفعوا شيئاً من الريحان وحيوه به ، وللنابغة في مدح آل جفنة :

وفاق النمال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

ويوم السباسب عيد للنصارى وهو يوم الغطاس .

(١) تقع دار الحرم بالنسبة لمن يخطط بغداد في هذا العهد في محلة « الدهانة » وكانت فيها البيعة المعروفة ببيعة الخمار .

(٢) مسالك الأبصار ص ٣٩٣

جافة ، فإن كانت ندية فلتفرش بالآجر أو الحجارة ، وتقدير المعصرة أن يكون طولها ضعف عرضها » .(١)

وقد كان الرهبان أنفسهم يعصرون الخمرة ، ويحفظونها فى مخازنها التى كانت فى الغالب تحت الأرض ، وقد وصف الشعراء الهيمنة حول الدنان وتلاوة المزامير والإنجيل ، ومن ذلك قول أبى نواس :

وخمر كعين الديك أسبحت سحرة ... وقد همّ نجم الليل بالخفقان
ندبت لها الجار فانصاع مسرعاً ... إلى عدد من اكؤس ودنان
دراسته الإنجيل حول دنانه ... بصير بنزل الدن والكيلان(٢)

وفى مثل هذا المعنى قال عبد الصمد بن بابك :

هيم القس حولها وتغنى ... بمزامير دنها المزمار
ثم لما انتمت إلى دين عيسى ... شد فى حقو كأسها زنار

ومن طريف ما جاء فى وصف الجودة بالقدم قول شهاب الدين التلعفرى ، فقد جعلها تروى حديث آدم وابليس ، وما كان بين سليمان وبلقيس ، وأن الرهبان يتلون الأناجيل لها إذا حضرت ، ويسبحون ويقدسون بأعظم ما يكون التسبيح والتقديس ، قال :

عج حيث تسمع أصوات النواقيس
من جانب الدير تحت الليل بالعيس
مستخبراً عن كيت اللون صافية ... قد عتقتها أناس فى النواويس
مرّ الزمان عليها فهى تخبر عن ... ما كان من آدم قدماً وابليس
ترى الرهابين صرعى من مهابتها ... إذا بدت بين شماس وقسيس
تتلى الأناجيل تعظيماً إذا حضرت ... لها بأشرف تسبيح وتقديس
لها أحاديث ترويها إذا مزجت ... فى كأسها عن سليمان وبلقيس

يسعى بها من نصارى الدير بدردجى
يميس فى فتيـــة مثل الطواويس

وامتاز سقاة الخمر من النصارى بحسن صفتهم ، ونظافة آلتهم ، وطهارة دنانهم ومبازلهم ، لأنهم انفردوا — فى الغالب —(٣)

(١) أدب الوزير ص ٣٩ ، ٤٠
(٢) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٣٤٢
(٣) ربما كان الساقى من غير النصارى ، بل ربما كان مسلماً . جاء فى الشابشتى ورقة ٢٠ ، ٢١ « ذكر أبو الشبل البرجمى قال : صرت وأنا مجتاز إلى قطربل ، فدعونا خماراً فقلنا : اثتنا بنبت عشر قد أنضجها الهجير فجاء بها ، فقلنا : اسقنا ، فسقانا . فقلنا : اسقنا واشرب ، فقال : أنا مسلم وكان يهودياً قد أسلم » .

بعصرها وتعتيقها ، لذلك أقبل عليهم المجان والخلفاء ، حتى صارت الأديرة مطارح أهل اللهو ، ومواطن ذوى الخلاعة ، كما أصبحت ملتقى العشاق ومأوى الفساق ، لأن مجالس الشرب واللهو كانت تعقد فى الرياض والبساتين فى جوار الأديرة وخلف البيع والمعابد ، لأن الحانات كانت ملاصقة لها .

حدثنا العمرى فى مسالكه قال : « كان بالكوفة رجل أديب ضعيف الحال ، مهما وقع فى يده شىء من المال أتى به دير حنة فيشرب حتى يسكر ثم ينصرف ، وهو القائل :

مالذة العيش عندى غير واحدة ... هى البكور إلى بعض المواخير
لحامل الذكر مأمون بوائقه ، ... سهل القياد ، من العزه المدابير
حتى أحل على دير ابن كافرة ... من النصارى ببيع الخمر مشهور
كأنما عُقد الزنار فوق نقا ، ... واعتم فوق دجى الظلماء بالنور(١)

وربما أثرت هذه المجالس المرحة والحياة الناعمة برهبان الدير ومن فيه ، فتركوا ما هم عليه من نسك وعبادة وزهد ، وانغمسوا فى ملاذهم ، وتبعوا أهواءهم ، فخلعوا العذار ، وتهزوا مع الغواة بدلائهم ، وأساموا سرح اللهو كيفما شاؤا .

وقد اشتهر من هؤلاء قس كان بالحيرة ، ذكر خبره الخفاجى وياقوت ووصفه بعضهم قائلا :

إن بالحيرة قساً قد مجن ... فتن المجان فيـــه وافتتن
هجر الإنجيل من حب الصبا ... ورأى الدنيا متاعاً فركن

وكان لهذا القس قلاية فى ظاهر الكوفة ذكرها محمد بن عبد الرحمن الثروانى ، وطلب أن يكون ريحانه من قلاية هذا القس قال :

خليلى من تيم وقيس هديتا
أضيفا بحث الكأس يومى إلى أمسى
وإن أنتما حييتمانى تحيـــة ... فلا تعدوا ريحان قلاية القس(٢)

وكانت هذه الأديار تقصد فى الليل والنهار ، ويقدم إليها أهل الطرب والمتعة من الأماكن البعيدة فى السفن والسميريات أو على الخيول . وهناك يختلطون بالرهبان والراهبات ، يشربون معهم وينزلون بهم ، وربما صرعوا الراهبات بالخمر ، فيبدلن الخفر

(١) مسالك الأبصار ص ٣١٢
(٢) شفاء الغليل ص ١٦٢ ومعجم البلدان ج ٧ ص ١٤٣

بالتهتك ، والحياء بكشف النحور والسيقان . وفى مثل هذا يقول جحظة البرمكى الذى لا يريد أن يبقى فى حانة واحدة يقضى فيها لذته بل يريد أن ينتقل من البردان إلى أوانا ثم إلى دير الملث . وهو لا يكفيه دن (١) من الخمور بل دنان . . ودنان . . قال :

أيها الحاذقان بالله جدا ... وأصاحا لى الشراع والسكانا (٢)
بلغانى — هديتما — البردانا ... وأنزلا لى من الدنان دنانا
وإذا ما أقت شهراً تماماً ... فاقصدا بى إلى كروم أوانا
واحططا لى الشراع بالدير بالملث امسى أعاشر الرهبانا
وظباء يتلون سفراً من الانـ ... ـجيل يا كرن سحرة قرباناً
لابسات من المسوح ثياباً ... جعل الله تحتها أغصانا
خفرات ، حتى إذا دارت الكأ ... س كشفن النحور والسيقانا (٣)

وقريب من هذا قول أبى نواس وقد خرج إلى دير نهرازان (٤) فى بعض أعياده مع جماعة من عصابته ، لكنه لم يصرع راهبة بل كان « يلهو » بظبى من ظباء الدير كان يدير عليهم الخمر — قال :

بدير نهرازان لى مجلس ... وملعب وسط بساتينه
رحت إليه ومعى فتية ... نزوره يوم شعانينه
بكل طلاب الهوى فاتك ... قد آثر الدنيا على دينه
وجىء بالدن على مرفع ... وخاتم الملج على طينه
وطاف بالكأس لنا شادن ... يدميه مس الكف من لينه
فلم يزل يسقى ونلهو به ... ونأخذ القصف بآيينه (٥)

وربما هاجت بهؤلاء الجان طربات ، وثارت بهم نزوات ، وهم ينزفون الدنان ، على غناء القيان ، وعزف الأوتار ، ونقر الدفوف ، وحث الكؤوس ... وربما ذكروا الصلاة وهم فى حالهم هذه ، وقد فاتهم أوانها ، فيسرعون إليها متعثرين كأنهم يقلدون أرجلهم من طين . . وفى مثل هذه الصفة يقول إسماعيل ابن عمار الأسدى يذكر سكرة له بدير اللج مع صحب من عصابته ومعهم سعدة والزرقاء « سلامة » وربيحة ، وهن جوار مغنيات كن لابن رامين مولى عبد الملك بن بشر بن مروان وهى أبيات ظريفة منها :

ما انس سعدة والزرقاء يومهما ... باللج ، شرقيه فوق الدكاكين
تغنيانا ، كنفث السحر تودعه ... منا قلوباً غدت طوع ابن رامين
تسقى شراباً كلون النار عتقه ... يمسى الأصحاء منه كالمجانين
إذا ذكرنا صلاة بعد مافرطت ... قمنا إليها ، بلا عقل ولا دين
نمشى إليها بطاء ، لا حراك بنا ... كأن أرجلنا يقلعن من طين
أو مشى عميان دير لادليل لهم ... سوى العمى إلى عيد الشعانين
أهوى ربيحة إن الله فضلها ... بحسنها ، وغناء ذى أفانين (١)

وربما سكر هؤلاء الجان مع قسيس الدير ، وقد شحطت بداه وأرعشه الإدمان ، فيبكى ويغنى ، ويشرب دمعه وخمره ، تعده أريحية مخمورة ، وعاطفة مسجورة ، وفى مثل هذه الحال يقول جحظة فى دير العذارى الذى فى سامراء ، وفيها أبيات وجيعة تنتفض ألماً ورقة ، قال :

الاهل إلى دير العذارى ونظرة ... إلى الخير من قبل الممات سبيل
وهل لى بحانات المطيرة سكرة ... تعلل نفسى ، والنسيم عليل
إلى فتية ما شتت العذل شملهم ... شعارهم عند الصباح شمول
وقد نطق الناقوس بعد سكوته ... وشمل قسيس ، ولاح فتيل
يريد انتصاباً للقيام برغمه ، ... ويرعشه الادمان فهو يميل
يغنى وأسباب الصواب تعده ... وليس له فيما يقول مثيل :
(الأهل ثم الخزامى ونظرة ... إلى الخير من قبل الممات سبيل)
وثنى بغنى ، وهو يلمس كأسه ، ... وأدمعه من وجنتيه تسيل :
(سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى ... ويحدث بعدى للخليل خليل)
سقى الله عمراً لم تكن فيه علقةٌ ... لهمٍّ ، ولم ينكر على عذول (٢)

(١) الدن : الراقود العظيم يكون من الفخار أو الصلصال فى أسفله كهيئة قوس البيضة ، له عنق ، لا يعد إلا أن يغرز له فى الأرض . قال ابن دريد : الدن عربى صحيح . وأنشد « وصلى على دنها وارتسم » وقد نقله عنا الفرنسيون بعض التحريف فقالوا « Toone » ثم عاد المعاصرون منا فأخذوه من الفرنسيين فقالوا « طن » ، ويراد به برميل ضخم يسع من الدوائل ألف كيلوغرام ، وكل ما يزن ألف كيلوغرام يسمى اليوم فى العراق « طن »

(٢) الكان مستعمل اليوم فى عامية أهل العراق بهذا المعنى ، وكل ما يوجه آلة يسمونه سكاناً .

(٣) الشابشتى ورقة ٤٣

(٤) لم أعثر على هذا الدير فى معجم ياقوت ولا الشابشتى ولا العمرى ولم أجد هذا الاسم إلا فى شعر أبى نواس ، ولعله من ديارات الشام .

(٥) ديوان أبى نواس ص ٣٤٧ والآيين فارسى معرب معناه السياسة والأسلوب .

(١) معجم ما استعجم ص ٦٤٩

(٢) معجم البلدان ج ٥ ص ١٥٧

وقد كان هؤلاء النصارى يتوسلون بكل ذريعة لاجتذاب المجان ، وأهل اللهو وعشاق الخمور ، وفى طليعة ما يتذرعون به تجويد الشراب واختيار السقاة والمغنين والمغنيات وتهيئة ما يلذ به الشارب والماجن من وسائل التلذذ والطرب ، وربما كانت ابنة القس تدير الكأس على أحلاسها ، أو راهبة الدير تبيع لهم الخمور ، وما أطيب الكأس من كف خود رعبوب . . . قال شهاب الدين العمرى فى الدير الأبيض من أديرة مصر :

وكأس المدام علينا تطوف ... بحمراء صافية كاللهب
يطوف بها من بنات القسو ... س باخلة الكف ليست تهب
مبتلة بين رهبانها ... لألحاظها فى حشانا لهب
مسيحية طلعت فى المسو ... ح ، كصبح أطل وليل ذهب (١)

وربما جرت فى مجالس الخمرة أمور مما « يحسن » الظن عندها كما يقول ابن المعتز « فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر » ، وقد يبلغ الفسق منتهاه فى غالب الأحيان ، فلا رادع للقوم من دين ، ولا وازع لهم من أخلاق ، يحتسون الخمور على أصوات العود والناى ، وتبلغ الفوضى بهم غايتها ، فلا تجد إلا قبلا وعناقاً ، وانسان سوء « خلف » انسان ... قال جحظة فى دير الزندورد (٢)

سقياً ورعياً لدير الزندورد وما ... يحوى ويجمع من راح وغزلان
دير تدور به الأقداح مترعة ،
بكف ساق مريض الجفن وسنان
والعود يقبعه ناى يوافقه ، ... والشدو يحكمه غض من البان
والقوم فوضى ترى هذا يقبل ذا
وذاك انسان سوء خلف انسان (٣)

وحدث أن مر الشاعر الكندى المنبجى بدير مار ماعوث فاستحسنه ورأى غلاماً فى رهبانه جميلا يلثغ بالسين يجعله ثاء قال : « فشددت سميريتى إلى جانب الدير ، واشتريت شراباً من الرهبان ، وبت هناك منادماً لذلك الغلام . فلما أردت الرحيل أنشدته :

ومورد الوجنات من رهبانه ... هو بينهم كالظبي بين ليوث
ذى لثغة فتانة فيسمى الطا ... ووس حين يقول بالطاووث
حاولت منه قبلة فأجابنى : ... لا والمشيح وحرمة الناقوث
حتى إذا ما الراح سهل حثها ... منه السبيَ بكأسه المحثوث
نالت الرضى وبلغت قاصية المنى ... منه برغم رقيبه الديوث (١)

وإذا أردنا استقصاء ما كان يدور فى الديارات من تهتك وتطارح وعجون لعز الطلب واحتاج ذلك إلى كتاب فى أجلاد

(بغداد) **شكرى محمود أحمد**
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) مسالك الأبصار ص ٣٦٢ ومعجم البلدان ج ٥ ص ١٧٦

(١) مسالك الأبصار ص ٣٨٣

(٢) كان دير الزندورد بالجانب الشرقى من بغداد ، وكانت أرضه مزروعة بالفواكه والأترج والأعناب . أما موقعه بالنسبة لخطط بغداد اليوم فيقع فى محلة الباذين والسعدون . وكان بستان الأرقل ومدرسة الراهبات من ضمن أراضيه ، واليوم أصبحت محلة معمورة . وقرب تمثال عبد المحسن السعدون كانت كنيسة للنصارى هدمتها أمانة العاصمة قبل عشرة أعوام تقريباً .

(٣) معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٤

جامعـــة فاروق الأول

إدارة المستخدمين

إعـلان

تعلن جامعة فاروق الأول عن وظائف كتابية من الدرجة الثامنة خالية بها وعلى من يرغب فى الالتحاق أن يقدم طلباً برسم السكرتير العام للجامعة فى موعد غايته ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ ويشترط فى المرشح أن يكون حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان أو دبلوم التجارة المتوسطة وعلى الموظفين التقديم عن طريق مصالحهم

٧٨١١

الخلان والزمان

من أبي فراس والبارودي

للأستاذ محمد محمد الحوفي

— ٢ —

وبعد فلو أننا قدمنا ذلك الشعر باسم البارودي ، لم نتجن على الحقائق ، ولم نسىء إلى أحد الشاعرين : فإن هذه المعاني التي عرضناها لأبي فراس في موضوع الصداقة — هي بعينها المعاني التي قالها البارودي ، والتي سنعرض شيئاً منها كذلك .

كيف اتفق البارودي مع أبي فراس في الحكم على الناس ؟

وليس الجواب عن هذا السؤال عسيراً ، إذا عرفنا أن البارودي كان كأبي فراس — عبقرياً في الحرب وفي السياسة وفي الشعر . حارب غير مرة فظفر ، ولجيء إليه عند الأزمات السياسية فصفى الماء المكدر ، وتعهد الشعر العربي فأجدّه بعد أن نخر .

والناس كما أسلفنا — في كل زمان يكيدون للنابغين كيداً ، ويتربصون بهم الدوائر حقداً ؛ والحق أن أبصر الناس بالناس هم المباقرة ؛ لأنهم هم الذين يتلقون حقدهم ، وتنكشف أمامهم خبايا نفوسهم .

فالبارودي إذ يتحدث عن الصحاب ، إنما يصدر عن تجربة .

ثم كان عصر البارودي مشجعاً بمحنه وفتنه على تمييز المخلص في صداقته من المخادع ؛ إذ كانت الفتن الداخلية السياسية على أشدها ، وكان المقربون من الخديو غرضاً يرميه الوشاة بمخزعبلاتهم ، وكان بعض هؤلاء المقربين يشي ببعض ، فيتهم أحدهم الآخر بمعالأة الشعب ، وتحريضه على الثورة ، أو حثه على إحراج الخديو ، وكان الإنجليز يتسقطون الأخبار ليعرفوا حركات الزعماء ونواياهم ، فكثرت الدسائس والوشايات واستطاع شانتو البارودي أن يدسوا عليه ، وأن يلقوا عليه مع سائر الزعماء تبعة الثورة العرابية .

ثم كان نفيه — كأسر أبي فراس — آخر محك للصداقة ، وأصدق معيار لمن يدعون الوفاء ، حيث تراجع عن صداقتهم المدعون ، وكشفت المحن ضمائر المستورين .

وليس يفوتنا هنا كذلك أن من أسباب كثرة الحساد للبارودي ، غلوه هو أيضاً في الفخر ، وشدة غروره بنفسه وبنسبه ، وقد كان في عصره كثيرون غيره ، يرون أنهم أعرق منه أصلا ، وأشرف محتدا ، فلابد أن يوغر صدورهم فخره .

وكما خبر أبو فراس الناس خبرهم البارودي حتى مله الاختبار ، فرأى مودتهم كذاباً ، وقلوبهم ليست مثل ألسنتهم ، فيئس من العثور على صديق صدوق !

ولقد بلوت الناس في أطوارهم ... ومللت حتى ملني الإبلاء
فإذا المودة خلة مكذوبة ... بين البرية والوفاء رياء
كيف الوثوق بذمة من صاحب ... وبكل قلب نقطة سوداء
لو كان في الدنيا وداد صادق ... ما حال بين الخلتين جفاء
فانفض يديك من الزمان وأهله ... فالمعي في طلب الصديق هباء

والناس أعداء في الغيب ، ولكنهم عند الحضور صحب :

أنا في زمان غادر ومعاشر ... يتلونون تلون الحرباء
أعداء غيب ليس يسلم صاحب ... منهم وإخوة محضر ورخاء
أقبح بهم قوما بلوت إخاءهم ... فبلوت أقبح ذمة وإخاء
وأشد ما يلقى الفتى في دهره ... فقد الكرام وصحبة اللؤماء

وهذه نصيحة يوجهها إليهم عن تجربة :

بلوت سرائر الإخوان حتى ... رأيت عدو نفسي من حبيبي
فلا تأمن على سر صحابا ... فإنهم جواسيس العيوب

ويحرص البارودي على أن يعرفك أنه خبر الصحاب وجربهم ، فقلما يذكرهم إلا يذكر أنه ابتلاهم :

بلوت إخاء الناس دهراً فلم أجد ... أخا ثقة يرعى مغيبي كحضري

ويقول :

بلوت بني الدنيا فلم أر صاحباً ... يدوم على ود بغير تكاف

ويقول :

بلوت بني الدنيا فلم أر صادقاً ... فأين لعمري الأكرمون الأصادق

ويعتبر البارودي كذلك شرفاً له أن يحسد .

ليضن بى الحساد غيظاً فإننى ... لآنافهم رغم وفى أكبادهم وقد
أنا القائل المحمود من غير سبة ... ومن شيمة الفضل المداوة والضد
فقد يحسد المرء ابنه وهو نفسه ... ورب سوار ضاق عن حمله العضد
فلازلت محسوداً على المجد والعلا ... فليس بمحسود فتى وله ند

ونفسه توافق إلى خل وفى يشكو له فيسمع ، ويحسن إليه فينمو إحساسه ويترعرع .

فمن لى وروعات المنى طيف حالم ... بذى خلة تزكو لديه الصنائع
أشاطره ودى وأفضى لسمعه ... بسرى وأمليه المنى وهو رابع

وما أشد حاجة الإنسان إلى خِلّ رضى ، يعاشره على سجية :

متى يجد الإنسان خلا موافقاً ... يخف عنه كافة التحفظ
فإنى رأيت الناس بين مخادع ... لإخوانه أو حاسد متغيظ

الدهر

قلنا إن والد أبى فراس خلفه فى الثالثة ، فشب يتيما يرى كلا يفخر بأبيه وينال حنانه إلا نفسه . أين أبى ؟ ولماذا قتل وحده فى الحرب دون آباء هؤلاء اللدات ، ولم أعجلته المنية قبل أن أملى به عينى ، وألمس عطفه على ؟ يا لك من دهر !!

وقلنا إن نفس أبى فراس كانت طموحاً عالية ، وإنه شمخ على أسرته وسائر الناس ، فكرهوا منه ذلك ، ولا سيما أنه ليس لديه من الأموال ما لدى غيره من الأمراء ، فانصرف عنه الناس إلى أقرانه من أسرته فأحس أن أخلاق الصحاب نفعية ، لا تصمد عند الشدائد ، وقوى هذا الإحساس حينما أسر فتفرق من حواليه مدعو صداقته ، وأمعن الحساد فى شماتتهم به .

وما دام الدهر خلواً من الأخلاء والأوفياء ، مايئاً بكيد الحساد والشامتين ، فهو دهر ثقيل ، يلعنه صاحبه فى كل مقال

ونقول هنا كذلك : إن أبا فراس نشأ فوجد ابن عمه سيف الدولة أمير حلب وهو فيها صاحب العز والغلب ، مهيب جانبه من الروم والعباسيين وسائر دويلات العرب . . . وأبناء العمومة فى مرتبة واحدة يرى كل منهم نفسه ندا للآخرين ، له محامدهم ، وفيه أمجادهم .

ونظر أبو فراس إلى ابن عمه ، فرأى نفسه وإياه فى مرتبة واحدة ، وقارن بين حاله وحال سيف الدولة فلمس فروقاً شاسعة : أمير مملك يحتفى به ويخشى منه ، وأمير يتيم فقير ، لا سلطان له على الناس حتى يرهبوه ولعل أبا فراس فكر فى فضائل سيف الدولة ، وأسباب سيادته على قبيلته ، فوجد الفضائل عنده هو أتم ، وأن سيف الدولة فيه من المايب ما ليس فى نفسه .

ولعله كذلك ذكر أن أباه — وقد كان عم سيف الدولة — كان هو الأحق بالإمارة من ابن أخيه ، فتقاليد الحكم أن يلى الملك أكبر رجال الأسرة وأقربها إلى أصولها .

وما دام والد أبى فراس كان أحق من سيف الدولة ، ومادام أبو فراس يرى فى نفسه المثل العليا للشجاعة والكرامة والمجد — فلابد أن يكون قد حدث نفسه بأن تئول إليه المملكة ، بعد وفاة سيف الدولة .

أقرر هذا معتمداً على شعر أبى فراس نفسه ، ومستعينا بسياق الحوادث التاريخية وإن لم تصرح .

وما كان لإنسان عادى ، لا يترقب الملك أن يقول :

علىّ طلاب العز من مستقره ... ولا ذنب لى إن حاربتنى المطالب

أيكون للعز مستقر — عند الأمراء — غير الملك ، وإذا لم يكن الملك فلمَ يقول : « ولا ذنب لى إن حاربتنى المطالب » ، إنه يريد بمحاربة المطالب ، مقاومة الظروف وعجزه عن التربع على الإمارة فى حلب ، ووقوف الحساد فى سبيل غايته .

وما كان لغير طامع فى الإمارة أن يقول :

يصان مهرى لأمر لا أبوح به ... والدرع والرمح والصمصامة الخدم

إنى أبيت قليل النوم أرقبنى ... قلب تكاثف فيه الهم والهمم

وأن يقول :

ولو نيلت الدنيا بفضل منحتها ... فضائل تحويها وتبقى فضائل
ولكن دهراً دافعتنى صروفه ... كما دافع الدين الغريم المماطل

وأن يقول :

تطالبنى بيض الصوارم والقنا ... بما وعدت جدّى فىّ المخايل

* * *

على أن ما وقع من أبى فراس عقب موت سيف الدولة

يؤيد ما ذهبنا إليه من أن أبا فراس كان يحدث نفسه بالإمارة : فقد خرج الشاعر يحمص على أبي المعالي بن سيف الدولة ، وحاول أن يحل محله ؛ ولكن أبا المعالي وقر عويه هزماه ، ويقال إنه قتل في هذه المعركة وبعد :

فليس بدعا من أبي فراس أن يردد الشكوى من الدهر ، ويحقد عليه في كل قول ، بعد أن حاربه في أبيه ، وفي أصدقائه ، وفي أمانيه

* * *

وليس الذي افتتنا في شعر أبي فراس مجرد الحديث عن الدهر ، ولكنه تكرار هذا الحديث حتى ليصح أن نسمي شعره كله بالشعر الدهري ثم اتفاق كل هذه الأحاديث الدهرية على لعنة الدهر ، والثورة على صروفه وظروفه .

فترى أبا فراس يصور الدهر المدافع لطموحه مماطلا يدافع غريمه :

تطالبني بيض الصوارم والقنا ... بما وعدت جدي في المحافل
ولكن دهراً دافعتني صروفه ... كما دافع الدين الغريم المماطل

ويقول لسيف الدولة أول أمره :

وما أنا إلا بين أمر وضده ... يجدد لي في كل يوم مجدد
فمن حسن صبر بالسلامة واعد ... ومن ريب دهر بالردى متوعد

ويذكر أن أصحابه يوم أسره ، كانوا قد أشاروا عليه بأن يحجم فرفض وأن الدهر هو المسئول عن إخفاقه في هذا اليوم :

يقولون جاهد . عادة ما عرفتها ... شديد على الإنسان مالم يعود
فقلت : أما والله ما قال قائل ... شهدت له في الخيل الأم مشهد
ولكن سألقاها فإما منية ... هي الطعن أو بنيان عزّ مشيد
ولم أر أن الدهر من عدد العدا ... وأن المنايا السود يرمين عن يد

ثم يحاول أن يثبت أمام طعنات الزمان ، وأن تصدق فراسته فيه ، فيقول :

وقور وأهوال الزمان تنوشني ... وللموت حولي جيئة وذهاب
ولحظ أهوال الزمان بمقلة ... بها الصدق صدق والكذاب كذاب

ويقول :

ومن ورد المهالك لم ترعه ... رزايا الدهر في أهل ومال

وقد حالفته صروف الدهر حتى توهمت نفسه أنه لا يعتد لها ، لأنه ألفها :

لا أفتني لصروف دهري عدة ... حتى كأن صروفه أخلاقي

ويقول في هذا المعنى أيضاً :

وخبرت هذا الدهر خبرة ناقد ... حتى أنت بخيره وبشره

ثم يشرك معه بني حمدان في عدم المبالاة بالدهر :

نظرنا إلى هذا الزمان بعينه ... فهان علينا ما يشت وينظم

ولكنه بعد هذا التجلد للدهر والاستهانة به . يكرر التظلم منه . فالشيب عنده أهون رزايا الدهر :

وقلت الشيب أيسر ما ألاقي ... من الدنيا وأيسر ما أداري

وهو في استعطاف سيف الدولة يعده جنة من ريب الدهر :

فقولا له يا صادق الود إنني ... جعلتك مما رابني الدهر مفزعا

ويعجب أن ينكر عليه سيف الدولة شكوى الزمان :

أتنكر أني شكوت الزمان ... وأني عتبتك فيمن عتب

ويستعطف سيف الدولة بأن حوادث الأيام جرحت قلبه :

زماني كله غضب وعتب ... وأنت عليّ والأيام إلب
فلا تحمل على قلب جريح ... به لحوادث الأيام ندب

ثم يشكو تعاون سيف الدولة مع الدهر على اضطهاده :

فيا حكمي المأمول جرت مع الهوى
ويا ثقتي المأمول جرت مع الدهر

ثم يستضعف أبو فراس نفسه - على غير عادته - ما لم يعاونه أصدقاؤه على صد هجمات الدهر ، ولذا يتغاضى عن ذنوبهم ، لكيلا يذروه وحده أمام الدهر :

واعلم إن فارقت خلا عرفته ... وحاولت خلا أنني غير واجد
وهل نافعي إن عضني الدهر مفردا ... إذا كان لي منهم قلوب الأباعد

(البقية في العدد القادم)

محمد محمد الحوفي

اطلب نسختك

من الطبعة الجديدة من كتاب

تاريخ الأدب العربي

أدب العروبة فى الميزان

للأستاذ على متولى صلاح

— ٣ —

ليست علاقة الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة باشا بالأدب قريبة ولا واهية وإنما هى علاقة قديمة وثيقة انحدرت إليه من آبائه وأجداده الذين كانوا يحتفون بالأدب ويحتشدون لأهله ويبذلون لهم الكرمات والروءات بذل السماح . ولعل من أطرف ما يروى فى هذا الصدد خبر الغرفة التى أقامها الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة باشا فى بيته بقرية « غزالة » لحافظ إبراهيم يلم بها بين الحين والحين فيجد العيش اللين ، والرزق الوفير ، والحياة الرتيبة ، والتى أطلق عليها اسم « غرفة حافظ » وجعلها حراماً على سواه ، مغلقة إلى الآن لا يغشاها إنسان ؟

ويسأل بعض القراء ما زال يذكر المقالات الطويلة الضافية التى كان يدبجها معالى الأستاذ فى جريدة « السياسة الأسبوعية » فى صدر حياتها وفى « السياسة اليومية » منشأتها بقلم يشهد له بالبلاغة والبيان ، وأنا أعلم أن شوقى قد عنى إليه جاهداً بكل رواية من رواياته الأخيرة ويأبى إلا أن يهدى إليه أول نسخة تخرجها المطبعة ! ولعل الكثير من القراء لا يعرف أنه شاعر تلين له القوافى لأنه لم يجتمع له ديوان شعر ، ولأن أغلب شعره إما أن يكون معارضة لطيفة ، أو نكتة أو جواباً عن سؤال ، أو تزجية بشرى ، أو إرسال تهنئة ، فى ذلك من مختصر القول ومقتضب الكلام ، وأنا أسوق إلى القراء نموذجاً واحداً منه يدلهم على مبلغ أصالته فى الشعر وعراقته فى التهنئة صديقنا الشاعر طاهر أبو فاشا على زواجه منذ قريبة فى قصيدة طويلة منها :

بنيت بالأمس صرحاً شامخاً وبخلا وغدراً
هلا دعوت ضيوفاً لا يسألونك كثرا
غر ميامين جاءوا دمياط براً وبحراً(١)
إن شئت قدمت قولا جرى بدمياط ذكرا
« التابعى » (٢) طهاه فكان فى الصحن تبراً !

إلى أن قال فى ختامها : —

دفعت بالله مهراً أم كان شعرك مهراً ؟
أعطاك ربك ألفاً من البنين وعشراً
وصاغ منك ومنها ضمون : شمساً وبدراً

فكان أمراً طبيعياً أن ينعقد له لواء رياسة جماعة أدبية كل وكدها خدمة الأدب والأدباء « وبعث مجد الضاد وآدابها » كما يقول ، « وإحياء التراث الإسلامى والمفاخر العربية » كما يقول سكرتير الجماعة .

والتأمل فى منهاج هذه الجماعة وهو منهاج حافل حاشد كما صوره رئيسها وبعض رجالها يجد أن الجامعة لم تحقق أو لم تكد تحقق منه شيئاً ! فمن منهاجها « أن تحيى التراث الإسلامى » وهى لم تصنع فى ذلك شيئاً .

ومن منهاجها « تزويد المكتبة العربية بزاد متصل من الآراء الحرة الكريمة » وهى لم تزود المكتبة العربية بعد إلا بكتابها هذا الذى نحن بصدد الحديث عنه .

ومن منهاجها « النهوض بالفكر الإسلامى والبيان العربى » — وهى لم تنهض بشىء من ذلك إلا طيفاً لا يكاد يرى !

ومن منهاجها « تقوية الصلات الفكرية والروحية والثقافية بين مصر والبلاد العربية » وهى لم تصنع فى هذا الصدد شيئاً أصلا..

ومن منهاجها « أن تشعل فى الشعب روح النضال والانتصار وأن توحد له الأهداف والأغراض وأن تفسح له آفاق الحياة وأحلام المجد » ونحن نعرف أن ذلك لا يكون إلا بالأناشيد التى تبعث فى الشعب الحياة والطموح والعزة ، وبالروايات التى تعيد إليه سابق مجده ، وماضى تاريخه ، وتستنفره للجهاد فى سبيل استرجاعه وإعادته ، وبقصص البطولة والتضحية — والتاريخ المصرى ملىء بحوادثهما — تذكى فيه العزائم الواهية ، وتحيى منه موات الهمم . وماذا جامعة أدباء العروبة فعلت من ذلك شيئاً

ولكن عذيرها فى ذلك أنها لم يكد ينقضى على إنشائها إلا عام وهو — عندنا — عذر يشفع لها بذلك ، ولكننا ننبهها إلى ما أخذت به نفسها ، وما عاهدت الله والناس عليه وإنا لمنتظرون

على أننا نريد على أن نضيف إلى منهاجها هذا أموراً هى حسبة أن تحملها الصدر من منهاجها إن هى كانت جادة فى السعى لرفع

(١) كان معالى يومئذ يصطاف برأس البر ..
(٢) بائع فول شهير بدمياط

شأن الأدب والأدباء ، فعليها أن تعين رقيق الحال من الأدباء وتمدهم بما يمكّنهم من طبع نتاجهم ونشره بين الناس ، وعليها أن تحيي الكنوز الدارسة من كتب الأدب العربي القديم وتعنى بتصحيحها وتنقيحها وإخراجها في ثوب قشيب فذلك أجدى عليها وعلى الأدب من ألف مهرجان ومهرجان . وعليها أن تعمد إلى أمهات الكتب الأجنبية — وبخاصة القصص الرفيعة — فتترجمها إلى اللغة العربية فتزيدها ثروة وذخيرة . وعليها أن تسعى جاهدة لدى الحكومة لتقرّر ما ينتجه كرام الأدباء في مكتباتها وفي مدارسها فينتفع الأدباء وينفعون ، أما أن يكون كل عملها الطواف هنا وهناك وإلقاء كلمات مبتسرة ينشئها بعض أصحابها وهم في القطار ثم تجمع ذلك في كتاب تذيعه على الناس دليلا على وجودها وسجلا لمجهودها فذلك عمل ضحل قليل الغناء ... وكتاب « أدب العروبة » الذي نحن بصدد الحديث عنه كله — إلا القليل — من عمل أعضاء جامعة « أدباء العروبة » والمتأمل فيهم لا يجد بينهم واحداً من شيوخ الأدب وسدنته القدامى ، وكلهم لم يجاوز بعدُ مرحلة الشباب إلا الصديق الدكتور إبراهيم ناجي والصديق الأستاذ محمد مصطفى حلم فقد أوشكا أن يُجاوزاها !

ويتألف الكتاب من الكلمات والقصائد التي أُلقيت في سبعة مهرجانات أقامتها الجامعة في القاهرة وبعض المدن لمناسبات متفرقة أو للتنويه بشأنها والتذكير بوجودها ، ويفتتح الأستاذ الرئيس كل مهرجان بكلمة منه مختصرة تشرح أغراض الجامعة وتنبه إلى رسالتها وأهدافها ، وتمهد القول لمن يلونه من الخطباء والشعراء ... ويجد القارىء في الكتاب للأستاذ الدكتور محمد وصفي نائب الرئيس سبع كلمات لكل مهرجان كلمة ، وفي كلام الرجل لازمة خاصة يتميز بها ، فهو يجنح جنوحاً قوياً شديداً تدفعه إليه طبيعته الخاصة حتى لا يملك عنه منصرفاً إلى الاستشهاد الدائم بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف ، وهذا حسن في ذاته ولكنه هو كل ما يصنع ! فهو يعمد إلى الآيات الكريمة التي تتصل بسبب قوي أو ضعيف إلى المناسبة القائمة ، ويجدّ في البحث والتنقيب عنها ، ثم يشرح معانيها التي احتوت عليها جميعاً ويسوقها معنىً معنىً حتى إذا استوفاها جميعاً ذكر نص الآية حتى ليخيل للقارىء أنه أتى بالآية استشهاداً لما قدّم من المعاني ومطابقة له والحقيقة أنه اهتدى إلى الآيات أولا وأعدها للقول وأخذ في تفسيرها مقدماً حتى إذا أتمّه جاء بالنص !

ولو أننا أخرجنا من كلامه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما بقي بعد ذلك شيء ؟ فليس له وراء ذلك إنشاء أو ابتداع أو كتابة فهو إلى المفسرين أقرب منه إلى الأدباء ..

ومما يعجب أن يقول الأستاذ طه عبد الباقي سرور سكرتير الجامعة في الكتاب معانى كلمات ليست بالقصيرة ثم إنك لا تكاد تجد بينها فرقاً يحس أو اختلافاً يشعر به ، فالكلمات متشابهة متماثلة حتى لو أنك وضعت أي واحدة منها تحت أي عنوان منها ما أحسست نبواً ولا قلقاً ولا انحرافاً ! وكلامه — في عمومه — كلام عام لا خاصة له وأكاد أقول لا معنى له ، فهو يسوق الكلام يجر بعضه بعضاً دون حساب ولا تمهل ولا أناة فيقول فيما أسماه « فلسفة الربيع » « والربيع عصر المودة والسلام والإخاء إذا انطبعت روح الإنسان بتلك المعاني . وعهد حروب ودمار وخصومة وبغضاء إذا ثار في الإنسان جانب من جوانب الإلتواء » فأي كلام هذا ؟ وأي شيء فيه يجده القارىء ؟ وما علاقته بفلسفة الربيع هذه ؟؟ وهو يقول كذلك إن الإنسان « إن شاء أحال الوجود نعيما وهناء وسلاماً وإن أراد كان الوجود جحيما ورعداً وحرباً » وذلك كلام معاد قريب أين هو من الربيع وفلسفته ؟ وهو يقول مخاطباً القمر معدداً محاسنه « قد تمنى اسمك بنات حواء » وذلك إلى كلام العامة أقرب ، ويقول عنه إنه « يمين أقسم به الديّان » ونسي أن الديان أقسم أيضاً بالتين والزيتون ؟ ولكنه السجع الذي يريد التزامه فتنهر أنفاسه وتخرج سجعاته قلقة نابية غير مستقرة .

وكلمات الأستاذ ملأى بالأخطاء اللغوية التي كنا نود لو تنزّه عنها سكرتير جامعة أدبية تريد لها النهوض والسير الحثيث والتقدم المطرد ، فهو يقول مقدماً الكتاب « هذا بعض تراثنا في عام » والتراث ليس نتاج الأحياء إنما هو ما خلف الأموات . ويقول عن الإنسان أن فيه معجزة كبرى « أودعها الله في روحه » والصواب أن يقول « أودعها الله روحه » . ويقول عن مهرجان القمر إنه « مهرجان النور والضياء ! والله يقول « وجعلنا الشمس ضياء والقمر نوراً » . ويقول مخاطباً الإنسان « فانعم

نشوة الخيام

للأستاذ حسن البحيري

أدنِ مني ثغرك العذب وقبلني ودعني
أشرب النشوة من كأسي : رجاء ... وتمن
فعسى بعد جراحات صبابات وحزني
أن يعيد الوصل أفراح ربيعي فأغني

ضمني وارو غليلي يا حبيبي من لماكا
اسني لم يبق لي في كرب العيش سواكا
شفني وجدي ... ودائي ... ودوائي في هواكا
آ من نار بجنبيّ ورمضا مقلتاكا

ساعات من جام الصبا بين عمار[1] ورفيف[2]
عمره تذهل روحينا عن العيش الزفيف[3]
بها تعصف بالعمر أعاصير الخريف
يوم زمن الأحلام بالدمع الذريف

نا طيف تهادى من زوال لزوال

وليالينا ظلال تتراءى في ظلال
وأمانينا خيال حاكه وهم خيال
ومجالي عيشنا في الدهر حال بعد حال

فارتشف راح الهوى من كأس حبي واسعد
لا تقل : لذة يومي أجتليها في غدي
كم هفت في العمر لذات وضاعت من يدي
هي بانت وأساها ظل في قلبي الصدى

يا حبيبي أنا ضيعت ليالي الخوالي
في دجى شكي وأطياف ظنوني وخيالي
حلم في سابح الأوهام بالصفو بدا لي
ذبلت زهرة أيامي وحالي فيه حالي

لمحات من سني ثغر أماني الكذاب
ضيعت عمري في الوهم وأودت بشبابي
فأنا في بحرها اللجي موصول العذاب
لم أنل إلا الصدى منها وبراق السراب

ما كفاني أنها ضاعت ليالي سدى
بين أسداف وأوهام ضلال وهدى
ما الذي نلت — على الأيام — من دهر عدا ؟
غير برق في أصاليل أماني بدا ؟

(١) الزمان . (٢) الوسن . (٣) السريع .

راب أن يقول « فانعم ولا تشق » بحذف الياء
ا تطغ لأن السجعة التي تليها « وسبّح بحمد ربك
رقة السجع في هذا الخطأ غير المقبول . ويقول في
ر انا في مطلع عهد جديد وسعيد يهاجر فيه العالم
لمرة الثانية إلى حياة الحرية والعزة والقوة ومن نذره
ان » والنذر — وهي لغة الإنذار والإبلاغ —
حريف ومنه قوله تعالى « فكيف كان عذابي ونذر ؟ »
ت القبائل العربية قديماً تتناظر وتتبارز بالبيان
وا لا تكون إلا في الحرب . ويقول متمماً هذا
شاعر قبيلة شاعر القبيلة الثانية » والأولى
ب شاعر قبيلة شاعر القبيلة الأخرى » حيث

لا ثالثة لها . ويقول في عيد الفاروق « في مثل هذا الشهر من العام الماضي احتفل أدباء العروبة بعيد الربيع » . والصواب أن يقول في مثل هذا الشهر من السنة الماضية ، فالفرق بين العام والسنة لا يخفى على أديب .

كثير جداً أن تحتوي كلمات سكرتير جماعة أدبية على أمثال هذا الخطأ ، وأنا أرجو جاهداً من معالي الأستاذ الرئيس أن يراجع هذه الكلمات قبل نشرها وإذاعتها على الناس — وهو الأديب العالم المدقّق الذي لا يجوز عليه هذا الخطأ — حفاظاً على قدر هذه الجماعة وسمتها بين الناس ؛ وصيانةً لعرضها أن يثلمه إنسان فشعر الفتى عرضه الثاني كما يقول إسماعيل صبري

(المنصورة) علي مصطفى صبري

فأدر كأس شمول الصفو فالصفو يدال
والليالي لم يدم فيها لذي وصل وصال
كم أتاها قبلنا أنضاء أوهام وزالوا
لا هم دام وا ... ولا بعض رجاء العمر نالوا !

صب من خمر ثنايا ك سلافاً وحبابا
وأذب لذة روحينا بكأسينا شرابا
واسقني واشرب على شدو المنى تبراً مذابا
حسبنا ما ضاع من ماضي لياليا تبابا

كم حبيبين أضاءا الروض في حضن التصابي
بشباب حرك الطير إلى نجوى الشباب
فانتشى الزهر ... وهام النهر رقاص العباب
وهفا الغصن على مضجع أحلام عذاب

ثم غابا كنجوم الصبح من أفق الوجود
ما درينا أين قرا من دنى النأى البعيد
ذهبا في غمرة الأيام كاللحن الشرود
أو كما تذهب في الإعصار أنفاس الورود

شعلة النبراس في حلكة آلام الحياة
تتلظى بين أعاصير الشجون العاصفات
يتلالا نورها لمحاً بدنيا النائيات
ثم تلقيه يد العدم بوادي الذكريات !

يا حزيناً عاش من دنياه في بحر الدموع
تائهاً بين أواذي هالوع وولوع
حائراً في غلس اليأس بخفاق وجيع
ضل عن شاطئه في زورق الوجد المروع

كفكف الدمع على مافات من بيض الأماني
وادفن الأمة في النشوة واصدح بالأغاني
واغتنم ما غفلت عن صفوه عين الزمان
لا تصوح في بوادي الوجد أزهار التداني

حسبنا أن صبانا والهوى بملك يدينا
ما علينا لو نهبنا العمر سكراً ؟ ما علينا ؟
هاتها حتى يوافينا الردى في سكرتينا
قبلما تذوى أزاهير الصبا من جنتينا

من رأى ماذا وراء الغد في لوح الغيوب ؟
أو درى ما خطت الأقدار في سفر الخطوب ؟
كلنا نخبط في تيه من الشك الريب
خبط غشواء ضلول ... في دجى قفر جديب !

لا يرد الشجو من أعمارنا ما ذهبا
لا ! ولا يمحو الأسى من غيبنا ما كتبا
فانس ما ولى ... ودع للغيب ما قد حجبا
واحسها صرفاً ... وأغرق في طلاها النصبا !

(حيفا) حسن البحيري

ظهر حديثاً :

أنا غريب

بقلم الأستاذ

حبيب الزحلاوي

مجموعة من روائع القصص

تطلب من مكتبة النشر والتوزيع

٥٣ شارع إبراهيم باشا

تعقيبات

فارس الخوري الشاعر :

استفاض الحديث في مصر وفي الشرق العربي ، بل في العالم أجمع عن فارس الخوري ممثل سورية في مجلس الأمن ورئيس المجلس في دورته الحالية ، واستفاض الثناء عاطراً في جميع الدوائر على ما أبدى في هذه الرياسة من أصالة وكياسة ، وشهدت البرقيات التي أذيعت في العالم بأنه « خير من رأس المجلس إلى الآن ، وأنه يدير دفة الاجتماعات بدقة فائقة تتلخص في التقليل من الكلام والإكثار من العمل وحسم الأمور حتى استطاع أن يعمل في ثلاثة أسابيع ما لم يستطعه أحد من رؤساء المجلس السابقين .. » .

وفارس الخوري — بارك الله في حياته — في الثامنة والستين من عمره الآن ، وهو من الزعيل الأول من رجال الوطنية في سورية ، كان محامياً في دمشق ، وكان أستاذاً في كلية الحقوق ، وكان وزيراً مراراً ، ورئيس وزارة ، ورئيس المجلس النيابي ، ولكنه ليس من أبناء هذا الجيل من يدري أن هذا السياسي المحنك قد طلع حياته من الشعراء النابغين والكتاب البرزين ، وأنه في مطلع هذا القرن ، أي منذ أربعين عاماً ، كان يملأ صحف مصر والشرق بمنظوماته وكتاباته ، وإني لأذكر له من ذلك تخميساً للبردة البوصيرية المشهورة نظمه في سنة ١٩٠٦ وفيه يقول :

الطيف في النوم يرضينا إذا عبرا
إن عزت العين صبرنا نطالب الأثرا
لا تعجبوا إن صبرنا يحمل القدرا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سورا
مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

ترضى بدلا عن بديل العز أكمله والجسم ينحل سقما من تحمله
وترتجى الطيف لا عن فيض جدوله أما هواك فلم نعدل بمنهله
شرباً وإن كان يروينا فيظمينا

أغرى وأعرضنا على وصب نكتم الناس ما في القلب من لهب
فما اتخذنا تجافينا بلا سبب ولا اختياراً تجنباك عن كثب
لكن عدتنا على كره عوادينا

ضاقت على رحبها الدنيا فلا سعة تحوي فؤاداً وأحشاءاً مقطعة
نأسى إذا الشمس جازتنا مودعة نأسى عليك إذا حثت مشعشعة
فينا الشمول وغنانا فقنينا

لا شيء يسكن شيئاً من بلابلنا ولا نرجي عزاء من وسائلنا
ظمائن الأنس شالت عن منازلنا
لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا
سيما ارتياح ولا الأوتار تسلينا

وفي سنة ١٩٠٥ قامت الحرب بين روسيا واليابان ، وحدث فيها ما حدث من الوقائع والفظائع ، ومنيت فيها روسيا بهزيمة منكرة لم تكن في الحسبان ، فاتخذ فارس الخوري من مشاهد تلك الحرب الضروس موضوعاً لملحمة شعرية تتألف من أربع قصائد ألم فيها بالأسباب التي دعت إلى إشهار تلك الحرب وذكر المعارك والمواقع البحرية والبرية التي جرت بين الصفر والبيض ، وفتح للانفعالات النفسانية والتخيلات الشعرية مجالا رحباً في الوصف حتى جاءت تلك الملحمة مزيجاً من التقرير التاريخي والخيال الشعري ، ولما كان ولي عهد روسيا يومذاك قد ولد أثناء تلك الحرب فقد ختم ملحمته متوجهاً إليه بهذه الأبيات :

ها أنت تنمو في رعاية والد حان يذود السوء عنك ويطرد
والبعض من أبناء جيلك لا أب يحنو عليهم إن بكوا وتهدوا
آباؤهم سقطوا بساحات الوغى ليوسموا لك دولة ويمهدوا
فإذا نموا وملكت فارفق ذاكراً حق الذين على ولاك استشهدوا
وعساك تنشأ عادلا لا تدعي أن الجميع لأجل عرشك أوجدوا
فالملك جسم والعدالة درعه درع بمحبوك الحديد مسرد
والملك بستان أعز سياجه عدل به ريح المخاوف تركد
يتوقع الإصلاح منك وليتنا نحيا لنعرف ما يجيء به الغد

ولقد تمت الأمنية للشاعر ، فعاش — بارك الله في حياته — حتى رأى ما جاء به الغد ، وعلم ما كان من مصير القيصر وولي العهد ، فتغيرت الدنيا وتبدلت الأوضاع ، فقامت دولة مكان دولة وظهرت شريعة على أنقاض شريعة ، ولكن غريزة الوحش في الإنسان لم تتغير ، فما زال يستعمل نابه وظفره في قتل أخيه

الإنسان ، وماذا كانت تلك الحرب « الروسية اليابانية » أيها الشاعر إلى جانب ما شاهدت ورأيت بعد ذلك من أهوال حربين عالميتين لا تزال آثارهما ماثلة للعيان ، أنت اليوم أيها الشاعر رئيس لمجلس الأمن ، فقل لأندادك في ذلك المجلس من ممثلي الدول : أحقاً أنتم أيها الإخوان حراس الأمن ، أم مبررون للظلم وأن الحقيقة المرة هي كما يقول شوقي :

وعصر بنوه في السلاح وحرصه ... على السلم يجري ذكرها ويدير
ومن عجب في ظلها وهو وارف ... يصادف شعباً آمناً فيغير
ويأخذ من قوت الفقير وكسبه ... ويودي جيوشاً كالحصى ويمير

شيوخ وشبان ...

قال لي الأستاذ العقاد : « إنني لا أفهم معنى لهذا الكلام الذي يقال عن الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان ، وإني لأعجب لفئة من الشبان يتهمون الأدباء الشيوخ بأنهم يظلمونهم ويسدون أمامهم باب الشهرة والظهور ، ويصورون المسألة على أنها حزازة بين الفريقين ، وعداوة بين الطائفتين ، إلى آخر ذلك الكلام الذي يثار ويقال ، والواقع أنه ليس هناك أدب شيوخ وأدب شبان ، وإنما هناك أدب قوة وأدب ضعف ، فالقوة هي عامل الظهور والشهرة ، وضمان البقاء والخلود ، ولن يتأتى هذا إلا بالدراسة والاطلاع وبذل الجهد في ذلك إلى آخر ما تحتمله الطاقة ، ولكن إخواننا الشبان يحسبون أن من الكفاية في إدراك هذا قراءة كتاب أو كتابة مقالة في صحيفة ، وهذا هراء في التفكير ، وهراء في التقدير .. » .

« لقد كنا شباناً ، فما وجدنا من أخذ بأيدينا ، أو أفسح لنا الطريق ، ولكننا صعدنا وشققنا طريقنا بدافع القوة والجهد ، ولا زلنا إلى اليوم على هذا ، فأدباء الشيوخ أشد شغفاً بالقراءة والدراسة وبذل الجهد ، وهم يسيطرون على الحياة الأدبية لأنهم يواجهون الحياة الأدبية بما تستحق من حشد القوة وطول الصبر وخير للأدباء الشبان أن يدركوا هذا ، وأن ينصرفوا إلى تقويم شخصياتهم ، وأن يدخروا لأنفسهم قوة من المحصول الثقافي يمكنهم أن ينالوا بها الشهرة التي يريدون .. » .

وإني — وأنا من فريق الشبان — لأوافق الأستاذ الكبير على ما قال ، فالقوة هي ضمان الشهرة والبقاء ، فإذا ملكها الشبان فلن يكون الشيوخ عائقاً أمامهم ، ولكن يظهر أن إخواننا الشبان لا يدركون المسألة على حقيقتها ، ولا يحبون أن يدركوها على حقيقتها ، ويحسبون أن في استطاعتهم الصعود إلى القمة بخطوة قدم ، ويحسبون أن هؤلاء الشيوخ قد بلغوا ما بلغوا من المجد والشهرة بمثل هذه الخطوة ! !

كلا أيها الإخوان ...

لقد حدثني الأستاذ المازني قال : لقد قرأت كتاب الأغاني في مطلع حياتي ، وقد عمدت إلى فك أجزائه إلى ملازم ليسهل عليّ حملها أينما سرت ، وقد عنيت أثناء القراءة بتصحيحه وإكمال القصائد التي فيه ، ونسبة الأبيات المجهولة إلى قائليها والاستدراك على تراجم الشعراء ، وكنت أكتب هذا كله في ورق أبيض وألحقه بالمطبوع ، ثم جلدت الكتاب فكان في ضعف حجمه ، وكانت هذه النسخة عزيزة على نفسي ، ولكني فقدتها في محنة من محن الدهر ، فأورثتني حسرة لا تزال عالقة بقلبي إلى اليوم .

حدثني الأستاذ المازني بهذا الذي صنعه في مطلع شبابه ، وكنت منذ أيام أتحدث إلى أحد الشبان الأدباء عن كتاب الأغاني هذا فشمخ علي قائلا إن من العبث ضياع الوقت في كتاب الأغاني وغيره من تلك الكتب القديمة البالية التي أصبحت لا تجدي ...

مرة أخرى أقول لكم : كلا أيها الإخوان ، إن الأمر أشق مما تقدرون ، فاصرفوا هذا التمرد إلى ما يجدي من الجهد النافع .

سؤال :

في العدد السابق من الرسالة قرأت في مطلع المقال الخامس من تلك السلسلة التي يدبج حلقاتها الأستاذ علي الطنطاوي بعنوان « على ثلوج حزوين » ما يلي :

« أقامت ليلى في دار أسعد شهرين محمولة على الأكف ، مفداة بالأرواح ، قد هيئت لها كل أسباب الرفاهية ، وأحيطت بكل مظاهر الترف ، وسيق لإسعادها كل ما وصلت إليه الحضارة وأبدعه العقل ، فلا ترى إلا جميلا ، ولا تشم إلا طيباً ، ولا تسمع

الأدب والفن في أسبوع

أدب الأعراء :

لقد بلغت قضيتنا الوطنية مرحلة دقيقة خطيرة ، وأنا أكتب هذا يوم الثلاثاء الذى حدد لاستئناف النظر والمناقشة فيها ، وقد ظهر من اتجاهات مندوبى بعض الدول فى الجلسات الماضية أن الأمر لايجرى على مقتضى الحق والعدل ، وأن مَدَّ الدعاية وأمواج الحجج تتناثر عند صخور مجلس الأمن التى تمثل الأغراض الاستعمارية وما يتصل بها من المصالح المشتبكة .

وقد أدركنا أن أكبر جهادنا هو العمل داخل بلادنا ، فدعا بعض الزعماء وقادة الرأى إلى عدم التعاون مع أعدائنا ومن يعاونهم ، وتوثيق العلاقات مع الذين يناصروننا ، وقد شعر الجميع بالارتياح لما فعلته الحكومة إذ منحت بولندا مهلة ستة أشهر بعد الميعاد المحدد لدفع ثمن الأقطان المبيعة لها من مصر . وجاء فى بيان لحافظ رمضان باشا بالأهرام إلى أبناء وادى النيل : « أريد أيها المواطنون الأعزاء أن نجابه الحقيقة وننظر إلى مصلحتنا دون أى اعتبار آخر وألا نمد أيدينا ولا نتعاون إلا مع الدول التى تناصرنا فى قضيتنا أمام مجلس الأمن » وجاء فى حديث له بأخبار اليوم : « ونحطم (قوقعة) الخوف التى وضعتنا فيها سياسة بريطانيا فننشىء علاقات وثيقة ثقافية وسياسية بكل الدول التى أعانتنا فى مجلس الأمن ، فنوفد إليها كتابنا ، ونشجع شبابنا الذين يطلبون العلم فيها »

ومن التصرفات الموفقة فى هذا الصدد ما صنعه الأستاذ على الغاياتى إذ رد الوسام البلجيكى الذين كان يحمله إلى وزير بلجيكا المفوض فى مصر ، على أثر موقف التحيز الذى وقفه الممثل البلجيكى مع أمثاله فى مجلس الأمن ضد القضية المصرية .

أريد أن أخلص من هذا كله إلى أمر يدخل فى هذا الباب الأدبى ، أريد فى هذا الظرف الحرج أن نقطع علاقاتنا الأدبية والثقافية بالإنجليز ومن يساعدهم ضدنا فى مجلس الأمن وفى غيره وننشىء هذه العلاقات أو ننميها مع الدول التى تناصرنا .

حذار أن تقول ماشأن الثقافة والأدب بالخصومات السياسية والمنازعات الوطنية ، فنحن الآن فى انفعال شديد وثورة عنيفة لحزيتنا وكرامتنا ولا نستطيع أن نسمع هذا الكلام ، وقد ورد فى الأنباء الأخيرة أن صحفاً فى لندن وباريس توجه حملة من السباب والشتائم إلى المستشرقين البريطانيين والفرنسيين لمقالات نشرتها لبعضهم بعض الصحف العلمية والأدبية يشيرون فيها بوجوب اتباع سياسة أميل إلى التسامح مع الأمم العربية ، ونحن فى موقف المدافع عن حريته وكرامته ، فأحرى بنا أن نضحى حتى بالفائدة الفكرية التى تتوقع من استمرار اهتمامنا بآداب أعدائنا

أحدد ما أرى إليه بألا تنشر الصحف والمجلات فى هذه الآونة ، آونة جهادنا الحاضر ، مترجمات ولا دراسات ولا أى شىء آخر من آداب تلك الأمم . وأنا لا أنكر فائدتها وروعة كثير منها . ولكن يجب أن ننظر إلى الحقائق الآتية :

١ — الأدب الحر لا يتفق مع إهدار الحرية والكرامة ولا يجوز أن نرضع أدبنا من أثداء الذين يتعاونون على محاولة قتل حريتنا وكرامتنا ، ويجب أن نشعرهم بتقلص قيمتهم الأدبية عندنا نتيجة سوء مياستهم معنا .

٢ — البلاد فى حاجة إلى أقلام الذين يبذلون أكبر جهودهم فى تلك الآداب ، ليكتبوا فى مسائلها ومشاكلها بعد أن يعودوا إليها بأفكارهم وعواطفهم ، وتكون هذه فرصة حسنة للشعور

إلا ساراً ، ولا تأكل إلا لذيذاً ، ولكنها لم تكن سعيدة ، ولم تر حسن ما هى فيه ، لأنها افتقدت النور الذى ترى به جمال الدنيا حين افتقدت الحبيب » .

وأنا أحب أن أسأل الصديق الفاضل : مادامت ليلى فى هذه الحالة النفسية « لم تر حسن ماهى فيه » إذن كيف كانت « لاترى إلا جميلا ، ولا تشم إلا طيباً ، ولا تسمع إلا ساراً ، ولا تأكل إلا لذيذاً ؟ » .

هذا السؤال الذى بدا لى ، وإنى لفى انتظار الرد من الصديق الكريم .

« الحافظ »

بذاتيتنا ، والتأمل فى أنفسنا ، والعيش فى محيطنا وتركيز أدبنا الذاتى وتنميته وتوفيره .

٣ - يجب أن يكون العمل الوطنى السلبى شاملا لجميع النواحى ، فلا يتخلف فيه الأدب . وفى ذلك تقوية للروح الوطنية وإشراع لشعور العزة والكرامة .

مناهج اللغة العربية :

كانت وزارة المعارف قد ألفت لجنة لدراسة وسائل النهوض باللغة العربية والعمل على توحيدها فى مصر والأقطار الشقيقة . وقد انتهت هذه اللجنة من مهمتها ووضعت تقريراً سيكون موضع نظر المؤتمر الثقافى الذى سيعقد بلبنان فى اليوم التالى لصدور هذا العدد من الرسالة

وقد بين ذلك التقرير أهداف تعليم اللغة العربية فيما يلى :

(١) أن نجعل الطلاب قادرين على القراءة الصحيحة فى سهولة ويسر وأن يفهموا ما اشتملت عليه الكتب من أفكار ومعان

(٢) تمكينهم من التعبير عما يجول فى نفوسهم ويقع تحت حواسهم بعبارة عربية صحيحة

(٣) أن تكون دراسة العربية وسيلة صحيحة للثقافة وتوسيع المدارك وتنمية الذوق السليم وتزويد الطالب من المعلومات القيمة لا أن تكون محض دراسة لألفاظ وتراكيب ومفردات عمادها الزينة والزخرف الشكلى

(٤) أن يتصل الطلاب اتصالا وثيقاً بالحياة الأدبية والعلمية المحيطة بهم وأن يسايروا النهوض الأدبى الحديث

(٥) أن تكون الدراسة مثيرة لروح الشوق إلى القراءة والاستزادة من الثقافة والوقوف على ما جاء به الكتاب والمفكرون فى العصور المختلفة

ويقول التقرير « إن مناهج قواعد النحو والصرف والبلاغة أ[illegible] مما يحتاج إليه الطلبة ولا تلائم استعدادهم ولا تنهض بلغتهم ، إنه لو اكتفى من القواعد بما هم فى أشد الحاجة إليه مع كثرة المران عليه كان أولى »

« الواقع أن أصل الداء فى المناهج ، فنهج الأدب الحالى — مثلا — غير صالح ، فالطالب فى السنة الأولى الثانوية يبدأ دراسة الأدب ببحث طويل فى معنى الأدب والأسلوب الردىء وغير الردىء ، وهو يحفظ من ذلك ما يلقنه المعلمون من العبارات التى لا يفهم معناها مهما بذل المعلم من الشرح والإيضاح ، وفى السنة الثانية يدرس العصر العباسى الثانى ، فيقال له إن النهضة العلمية التى كانت فى صدر الدولة نضجت فى العصر الثانى وأثرت فى الأدب ، وهو لا يعلم شيئاً عن هذه النهضة لأنه سيدرسها فى السنة الثالثة ! ويقال له إن الكتاب استعملوا الجناس والطباق وغيرهما من المحسنات البديعية التى سيدرسها فى السنة الرابعة ! ويشغلون الطالب بالمعلومات التاريخية الكثيرة عن الأدب نفسه ، فيحفظ النصوص كما يحفظ شرحها دون فهم حتى للشرح ، ليدون ما حفظ فى ورقة الامتحان .. وترى أسئلة الامتحان فيهولك منها سؤال فى النقد أو الموازنة تراه أعلى من مستوى الطالب العقلى .. مع أن الأمر أهون مما تظن ، فالطالب يحفظ الإجابة عن ظهر قلب !

وهذه أمثلة يسيرة نسوقها إلى المؤتمر الثقافى وهو يتهيأ للانعقاد ، لننبه إلى أن « القدر المشترك » فى التعليم بجميع المدارس العربية ، ليس وحده الجدير بالبحث ، بل يجب الاهتمام أيضاً بنوع القدر ومقدار نفعه وصلاحيته . ويجب أن توضع المناهج المصرية خاصة موضع التفنيد ، لأن أكثر الشقيقات تتجه إليها وتأخذ بها ، ونخشى أن يتكون « القدر المشترك » من معظمها .

المساهر :

قرأت فى كتاب « أبو الهول يطير » الذى أخرجه أخيراً الأستاذ محمود بك تيمور ما يلى :

« تضم مدينة نيويورك وحدها سبعمائة مبنى بين مسرح للتمثيل ودار للسينما إلى جانبها ثلاثمائة وألف من أندية الليل تلك التى يسمونها بالفرنسية (الكباريهات) ولعلنا لا نخطىء إذا سميناها المساهر »

وكلمة « المساهر » هذه عذبة خفيفة وتنطبق حقاً على هذه الأندية الليلية (الكباريهات) التى يسهر فيها الناس ليستمتعوا بمختلف ألوان اللهو والمرح من رقص وغناء وموسيقى وغيرها وسيجرى السهر على اللسان كما جرى المسرح والمرقص

وقد ذكرنى ذلك بما كان قد كتبه الزميل « الجاحظ » فى

تعقيباته بصدد وضع الألفاظ للأشياء والمعانى المستحدثة ، إذ قال على ما أذكر إن الأمر فى وضع الألفاظ ليس مجرد المشور عليها بل هو الاهتداء إلى الكلمات التى تصلح للاستعمال وتشق طريقها فى الحياة بأقلام الكتاب والشعراء . والحق ما قال .

حول السجل الثقافى :

كتب إلى أديب ظريف بتوقيع « البسام » يقول :

« قرأت ما كتبته عن السجل الثقافى فأكبرت هذا العمل الجليل الذى شرعت وزارة المعارف تقوم به ، وهو إصدار سجل سنوى يصف مظاهر النشاط الثقافى خلال عام ويبين اتجاهات هذا النشاط ومراميه . ولا شك أن هذا السجل سيكون له من الأثر والشأن ما ذكرت ، ولكنى وقفت عند نقطتين فى هذا الموضوع : الأولى فى قولك « وعمل هذه الإدارة تسجيل مظاهر النشاط الثقافى فى البلاد من كافة نواحيه عدا الجانب الذى تضطلع به معاهد التعليم وفق برامجها الرسمية » وبما أن السجل السنوى أول ما تهتم به الإدارة المنشأة كما ذكرت ، فمعنى ذلك أنه سيهمل فيه الجانب الذى تضطلع به معاهد التعليم وفق برامجها الرسمية ، فلم هذا ؟ ولم لا يكون السجل شاملا للنشاط الثقافى بمعاهد التعليم ؟ وقد قلت إن الغرض الأول منه تعريف ضيوف مصر والمهتمين بشئونها من الأجانب المكانة التى بلغتها مصر من الثقافة العامة . أفليست المعاهد الرسمية مما يهمنا التعريف بما بلغته من المكانة الثقافية ؟

« النقطة الثانية هى ما يفهم من سياق الكلام وعلى الأخص العبارة السابقة التى بينت فيها أول غرض من السجل : (تعريف ضيوف مصر ... الخ) من أنه سيكون مقصورا على وصف النشاط الثقافى وبيان اتجاهاته ومراميه فى مصر فحسب ، فلا يشمل سائر البلاد العربية ، مع أن الوحدة الثقافية العربية هدف يرمى إليه الجميع ، بل هى واقعة فعلا من قديم العصور ، وهى أقوى لبنة فى بناء الجامعة العربية ، وإنى لأستبعد أن تغفل ذلك وزارة المعارف وهى التى تعمل على تنمية التعاون الثقافى بينها وبين الشقيقات العربيات ، بل أقول بصراحة أكثر إنى أشك فى صحة ما ذكرت فى هذا الصدد ... فهل أنت واثق منه ؟ وإذا كنت كذلك فما رأيك ؟ »

وأقول لك أيها « البسام » إننى لم أكن إلا مقررا للواقع الذى وقفت عليه وموضحا للفكرة التى قصدت إليها وزارة المعارف من السجل الثقافى الذى تعمل فى إعداده ، وأنا واثق من كل ما ذكرته . وقد ارتحت إلى وجاهة اعتراضك رغم ما تعمدته من المماكسة بين « العباس » و « البسام »

ولا إخال وزارة المعارف غافلة عما أثار ذلك الاعتراض ، ولعلها تنظر إلى الموضوع من وجه غير الذى تنظر منه إليه ، فلست أملك مع هذا إلا أن أدع الأمر لأهل الاختصاص فى الوزارة ليجيبوا بما عندهم

تصويب :

فى العدد الماضى جاء عنوان الموضوع الأول فى هذا الباب « اجتراء » وصحته « اجترار » .

« العباس »

الادارة الهندسية القروية بأسيوط

تقبل الادارة الهندسية القروية بمجلس مديرية أسيوط عطاءات حتى ظهر يوم ٢٥/٩/١٩٤٧ عن إنشاء أثنتى عشرة عملية مياه بيرديه بنواحى مديرية أسيوط وتشمل كل عملية توريد وتركيب ماسورة ارتوازية قطر ٢ بوصه وطلمبه يد بطاره وخزان مرتفع سعة ٢ متر مكعب وحواملة — ومواقع العمليات والرسومات يمكن للمقاولين الاطلاع عليها بالادارة الهندسية بأسيوط أومصلحة الشئون القروية بمصر ويطلب دفتر الشروط والمواصفات على ورقة دمغة فئة ثلاثين مليما نظير مبلغ جنيه واحد بخلاف مائة مليم أجرة البريد . ٧٧٩٣

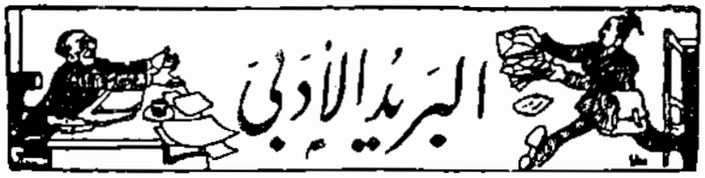

المنشىء والحاسب ، أبو حيان والحريري

قرأت في الرسالة الغراء (٧٣٧) كلمة الأستاذ (الجاحظ) : (الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب) وما رواه فيها من قول للدكتور زكي مبارك . ولقد أنصف الأستاذ الجاحظ ، وجار الدكتور مبارك — وإن لم يكن الظلم من شيمته — بما أراد أن يعطي (ابن الحريري) أكثر من نصيبه ، وحسبه نصيبه . وفي (الإمتاع والمؤانسة) حديث عن تينك الصناعتين ورد فيه كلام لرجل اسمه (ابن عبيد) نبح فيه البلاغة والمنشئين والمعلمين والنحويين ، وعظم وكبر صنعة الحساب . وقد فرفر أديبنا العبقري أبو حيان قائله فرفرة ، وفند باطله ، وأعلن من فضائل البلاغة والإنشاء ما أعلن وأغلب الظن أن صاحب (المقامات) أطلع على ذلك الحديث فنقش أشياء من معانيه ومن ألفاظه قال ابن الخشاب البغدادي في رسالته في نقد (المقامات) :

« وقد كان ابن الحريري (عفا الله عنه) مكباً عليها ، صارفاً مدة مهله فيها ، ينقح فيها اللفظة بعد اللفظة ، ويستشفها في كل لحظة ، فهي بنت عمره ، وبكر دهره . ولقد خطف أكثرها من مواضع ، بدل تهديه إليها على فضل بارع . ولم يكن (رحمه الله) مدفوعاً عن فطنة ثاقبة ، وغريزة في التلفيق مطاوعة مجاوبة » .

ولن يقلل ذلك النقش من فضل (أبي محمد) ولن يصغر هذا الخطف من مقداره . يقول أبو حيان في كتابه :

« ولما عدت إليه (إلى الوزير) في مجلس آخر ، قال : سمعت سياحك اليوم في الدار مع ابن عبيد ، ففيم كنتما ؟ قلت كان يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالملك ، والسلطان إليه(١) أحوج ، وهو بها أغنى(٢) من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا(٣) الكتابة الأولى جد ، والأخرى هزل » .

« قال : ... فما كان الجواب ؟ قلت : ما قام من مجلسه إلا بعد الذل والقماءة ، وهكذا يكون حال من عاب القمر بالكلف ، والشمس بالكسوف ، وانتحل الباطل ونصر المبطل ، وأبطل الحق وزرى على المحق ... » .

ومما قاله أبو حيان لابن عبيد : « وكفى بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلا بالبلاغة ، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوتها ، فانظر كيف وجدت في استقلالها بنفسها ما يقلها ويقل غيرها ، وهذا أمر بديع وشأن عجيب ... » .

والحديث التوحيدي العذب هو في الجزء الأول من (الامتاع والمؤانسة) في الصفحة السادسة والتسعين وما بعدها .

السرهمي

(١) قلت : ربما كانت (إليها) .

(٢) قلت : اليقين انها (أعنى) بالعين المهملة لا بالغين المعجمة وان كانت من الشاذ ، وفي كتاب سيبويه : (وهم بيانه أعنى) وقد ذكره الزمخشري في (المفصل) وفي (الأساس) .

(٣) عندي أنها (فإن) .

تصويب :

جاءت همزة هذا المصدر (الاتمام) في الكلمة (فعلاء) في (الرسالة الغراء) ٧٣٧ - همزة قطع ، وهي همزة وصل .

الى الأستاذ (الجاحظ) :

أنا أذكر أن في الكتاب الجليل (الفرج بعد الشدة) للقاضي التنوخي قصة وقعت لبعض وزراء العهد العباسي الأول مع كاتب متمطل ركب معه حراقته في دجلة ... فيها تصنيف الكتاب وصفاتهم وما ينبغي لكل منهم ، ولم يقتصر فيها على الكاتب المنشىء والكاتب الحاسب ، بل عدد أنواعاً كثيرة وساق أوصافاً جمة ، وليس تحت يدي الكتاب حتى أدل على موضعها ، فليرجع الأستاذ (الجاحظ) إن شاء إليه . يجد فيها ما يضيفه إلى (تعقيباته) ، ويضمه إلى حسناته ..

(علي)

الخلان والزمان :

في العدد (٧٣٦) من الرسالة الغراء مقال بعنوان (الخلان والزمان) للأستاذ الحوفي لفت نظري فيه أخطاء وقع فيها الكاتب في روايته لأبيات الشاعر الأمير أبي فراس ... فرأيت إتماماً للفائدة المرجوة من هذا الموضوع الجليل أن أنبه إلى مواضع تلك الأخطاء وأن أرجع الرواية إلى أصلها .

١ — روى الكاتب أن أبا فراس قال :

منعت حمى قومي وسدت عشيرتي ... وتلدت أهلي من هدى القلائد

وصحة رواية الشطر الثاني هي :

وتلدت أهلي فرهدى القلائد

قصة إسلامية :

شيخ الأندلس

منقولة عن الانجليزية

بقلم الأديب وهبي إسماعيل حق

(تتمة)

ثم إن الرجل الغريب دلف إلى الحديقة بعد أن طرق الباب بيد مرتعشة طرقاً مضطرباً ، ولم يتمهل حتى يؤذن له ، وأسرع إلى حيث الشيخ يتوضأ لصلاة المغرب — وقد ارتسمت على صفحة وجهه دلائل الخوف وعلامات الفزع — فركع بين يديه ، وظل الكلام يتعثر في حلقه لحظة ، ثم استطاع أخيراً أن يتمتم بهذه الكلمات المتقطعة المضطربة :

— أيها الشيخ الرحيم ... إني غ ... غريب عن هذه الأوطان ... وأنا الآن ... بعيد عن أهلي وعشيرتي ... و.. و... فقال له الشيخ :

— اعتدل في جلستك يابني اوتريث قليلا حتى تهدأ أعصابك ويعود إليك اطمئنانك ، فأنت الآن في بيتي ، وسنحول بينك وبين كل مكروه ، فلا تخف ، وقل ما تريد ...

— ارحمني بربك ! اسبل عليّ ستراً من حمايتك بمكانة محمد عندك ، إني بريء فمد يدك لمعونتي ... لجأت إليك ، فكن لي رحيما ...

هزت كلمات الرجل أوتار قلب الشيخ إدريس ، وتأثر بالغ الأثر لهذا الغريب الذي يذوب قلبه فرقاً وقال له :

— إنك آمن الآن يا بني ! فاطمئن ولا تخف ، فإن المسلم

وهو أوضح وأفصح فقد جاء مفسراً لبيت قبله هو :

فإن عدت يوماً عاد للحرب والندى ... وبذل الحلى والمجد أكرم عائد

ثم عطف فقال :

منعت حمى قومي وسدت عشيرتي ... وقلدت أهلي غر هذي القلائد

٢ — روى قوله :

(ومنها) نرى أن المتارك محسن ... وأن خليلا لا يضر خليل

وصحة هذا البيت هكذا :

(وصرنا) نرى أن المتارك محسن ... وأن خليلا لا يضر (وَصول)

يقول : أصبحنا في زمن نرى فيه أن الصديق الذي لا يضر ويؤذي محسن وفيّ وصول للعهد أمين في الصداقة .. ومما يؤيد هذه الرواية أن الشاعر قال بعد ذلك :

تصفحت أحوال الزمان فلم يكن ... إلى غير شاك في الزمان وصول

فجاء بالجناس بين القافيتين (وَصول ووُصول) وأبو فراس كثير التجنيس في شعره كقول قوله :

ولا برقت لي في اللقاء قواطع ... ولا لمعت لي في الحراب حراب

٣ — روى قوله :

وإذا وجدت مع الصديق شكوته ... سراً إليه وفي المحافل أشكر

وصحة هذا البيت :

وإذا وجدت على الصديق شكوته ... سراً وأكن في المحافل أشكر

٤ — روى :

أشد عدويك الذي لا تحارب ... وخير خليلك الذي لا تناسب

وصحة الشطر الثاني : وخير خليليك بالتثنية . ٥ - روى قوله :

تردى رداء (الظل) لما لقيته ... كما يتردى بالغبار المناكب

والصحيح كلمة (الذل) مكان الظل ، وهو أوضح وأبلغ وأنفذ للمعنى . يقول : إن حاسده اللئيم الجبان يوغل في شتمه وانتقاصه ويغرق في ذمه واغتيابه ، حتى إذا لاح له انخلع قلبه واستقع لونه واعتقل لسانه فتردى رداء الذل ، ولبس ثوب التملق ، فتوسل وتمدح . فلا وجه لكلمة (الظل) إلا إذا أراد الكاتب الفاضل أن يتمحل أوجه البلاغة ويتعسف طرائق البيان . فالمعنى الواضح البين خير وأبلغ من المعنى الغامض المبهم ٦ — وقد افتتح الكاتب الفاضل مقاله ببيت رواه لأبي فراس جاء على هذه الصورة :

تركت أبي طفلا وكان أبي ... من الرجال كريم الود فاخره

وقد نبهت « الرسالة » أن الشطر الأول غير مستقيم لا معنى ولا وزناً ، ولم أعثر على صحته ، ولكن لعل الشطر الأول أن يكون هكذا (وقد فقدت أبي طفلا وكان أبي) ، فيصح النظم ويتسق المعنى

(طرابلس الشام)

محمد علي عطاوي

لا يغلق بابه فى وجه من به استجار ، وهذا ملجأ حصين ، ستقر به عينك ، وسيهدأ فيه بالك ، ولكن هل لديك ما يمنع أن تطلعنى على ما حدث لك ، ولم ينتظر إجابته بل التفت إلى خادمه الذى لم يزل واقفاً وبيده إبريق الماء وقال له :

— هات له شراباً رطيباً ، فهو فى حاجة إلى ما يهدىء أعصابه ، فذهب الخادم ، وعاد وناول الغريب الشراب فروى ظمأه واستطاع بعدئذ أن يهمس هذه الكلمات :

— أعرنى سمعك أيها الشيخ الكريم ... وارحم غربتى وضعفى ، فليس لى فى هذا البلد مساعد ولا معين ... فكن مساعدى ومعينى ... منذ قليل كنت فى طريق المدينة فقابلنى جماعة من شباب المسلمين ، وكنت وحيداً ، فأخذوا يسخرون منى ويستهزئون بى ، فلما لم أرد عليهم قذفونى بسيل من الشتائم مقذع ، فقطع الشيخ حديثه بقوله :

— ترى من كان هؤلاء الأشقياء ؟ فإن الإسلام يعلمنا كيف نحافظ على شعور الناس ، ويحثنا أن نعاملهم بالحسنى ، ولا نعرض لهم بأذى . فقال الرجل :

— هذا ما حدث يا سيدى ، ولا أدرى له تعليلا ... فلما استنكرت فعلهم ، ورجوتهم أن يكفوا عن هذا السباب استشاطوا غضباً ، وازدادوا فى إيلامى ، وبلغ ببعضهم أنه أخرج مدية وهم أن يطعننى بها ، فدفعنى حب البقاء أن أدفع الأذى عن نفسى ، فقذفت بسهمى فى ثورة غضبى وشدة هياجى فطاش وأصاب من أحدهم مقتلا ، وها أنتذا قد علمت أننى لم أبيت لأحد منهم سوءاً ، ولم أقصد أحداً بضرر ، ولم يكن فى حسابى أن السهم سيصيب منهم مقتلا ... وقد لذت بالفرار لأنجو بنفسى ، ولأنقذ حياتى من خطأ لم أتعمده ، فرمت بى المقادير إليك ، ولعل من سعد طالعى أنى وفقت لمن ينصر المظلوم ويأخذ بيد الضعيف

ظن الشيخ أن الذى سمعه من الرجل هو الواقع ، فتحركت فى نفسه عوامل الشفقة ، وثارت فى قلبه نوازع الرحمة ، ولم يخطر له ببال أن الدم الذى سفكه ذلك الخائن إنما هو دم ابنه البرىء ، فأخذ يلاطف الرجل ويتبسط معه فى الحديث ، ليذهب ما ألم بقلبه من فزع ورعب ، وما تملكه من اضطراب وخوف ، وكان مما قاله له :

— إنك وإن لم تكن مسلماً ؛ فقد أوصانا نبينا بأن نعامل مخالفينا فى الدين بالحسنى ، وأن نرعى الأخوة فى الإنسانية حق رعايتها ، فكن على يقين أنك بلغت مأمناً ، وأنه بعون الله لا تستطيع يد أن تمتد إليك بسوء واعلم أنك الآن فى حماية قوية ، فقد عاهدتك عهداً غير منكوث ، أنى لن أسلمك أبداً ولو حملت فى سبيل ذلك السلاح ... ولكنه رأى فى وجه الرجل أمارات الشك ، وأن به ميلا إلى عدم التصديق فقال له فى رنة التأكيد :

— كن واثقاً بى فالمسلم إذا عاهد وفى ، وإذا أؤتمن أدى ، وإذا قال صدق ، فانحنى الغريب حتى بلغ رِجْلَ الشيخ فقبل أطراف أصابعها ، فجذبها الشيخ بقوة وقال له :

— إننى يا بنى لم أفعل شيئاً أستحق عليه هذا منك ، ولم أزد على أنى أجرت من استجار بى ، وأى مسلم يقعد عن ذلك ؟ ثم التفت إلى خادمه وقال له :

— اصحبه إلى حجرة النوم التى أعدت للاضياف ، ووفر له وسائل الراحة ، فإنه شديد الحاجة إليها ، ثم ابتسم للرجل وقال له :

— فى رعاية الله وحفظه ، رافقتك السلامة ، وصحبك الهدوء والاطمئنان .

أخذ المدعوون يفدون إلى بيت إدريس زرافات ووحدانا ، تعلو وجوههم نضرة السرور ، وترتسم على شفاههم بسمة الفرح ، وكانت الأنوار تتلألأ ساطعة فى أبهاء البيت وطرقات الحديقة وامتلأ البيت ، واكتظت الحديقة بالحاضرين ، وجلسوا جماعات جماعات ، يتناول حديثهم شتى الأمور فى الأدب والتطورات السياسية ، والمعارك التى تخوض جيش المسلمين غمارها لإخضاع الثائرين المتمردين ، والملح المضحكة ، والطرف المستملحة ، والكل ينتظر عودة إسحاق بفارغ الصبر . وكان الشيخ إدريس أشد الحاضرين قلقاً ، وأكثرهم لهفة ؛ فقد بدأ يتوجس خيفة من تأخر ابنه الذى لم يسبق له مثيل ؛ فإنه لم يتأخر فى المدينة إلى مثل هذا الوقت من الليل ، وخشى أن يكون قد أصابه مكروه فإنه يعلم أن عليه فى هذه الليلة أن يستقبل المدعوين فى منزله من علية الناس وأشرافهم . فلم يستطع الرجل الثبات فى مجلسه ، فكان يكثر من الخروج والقيام والقعود ، والذهاب إلى الباب والعودة منه ينتظر عودة وحيده .

وحانت صلاة العشاء ، فقام أحد المدعوين وأذن لها ، وبعد أن فرغوا من صلاتها عادوا إلى أماكنهم ، وقبل أن يتشعب بهم الحديث فاجأهم صراخ وصياح خارج المنزل لم يلبث أن صار بينهم مصدره ، وكان خادم إسحاق الذى رافقه إلى منزل الشيخ عبد الكريم هو مبعث البكاء والصياح فدخل عليهم وقال لسيده إدريس فى تأثر بالغ وهو يبكى ، ولا يكاد يتبين السامع شيئاً من كلامه لاختناق صوته ، وإلحافه فى البكاء والنشيج :

— ألهمك الله الصبر يا سيدى ... ؛ فقد مات وحيدك ... وسندك إسحاق ...

لم يكد الخادم يتم عبارته حتى ارتسم الهلع على وجوه الحاضرين ، واستبد بهم الحزن ، وفارقهم الوقار ، وتخلت عنهم الشجاعة ، فعلا نشيجهم وتصعدت زفراتهم واستسلموا الحزن عميق

أما الشيخ إدريس فقد كاد يصعق فى مكانه ؛ لأن الخبر قد نال منه أشد منال ، ووقع على قلبه وقوع الصاعقة ، وأخيراً بعد جهد جهيد استطاع أن يستند على خادمين وخرج إلى الحديقة ، يتبعه الأضياف ليروا جثة إسحاق التى وصلت منذ لحظات .

تقدم إدريس إلى ابنه المسجى ، وبيد مرتعشة رفع الغطاء الأبيض ، فرأى وجه ابنه ، ذلك الوجه الذى كان منذ قليل يزخر بماء الشباب ، رآه أصفر شاحباً ، قد ذوى جماله ، وغاضت ملاحته وغارت عيناه . وقد كانتا تشعان بالفرح والتحفز والسرور ، فانطفأ بريقهما ، وخبا ضياؤهما ، وانطبقت جفونهما .

رد الوالد الغطاء على وجه ابنه ، والحزن يفتت كبده ، ويذيب فؤاده ، ولكنه تحامل على نفسه وتمالك أعصابه وردد فى ثقة واطمئنان قول الله عز وجل « إن لله وإنا إليه راجعون » . « كل نفس ذائقة الموت » . « فصبر جميل والله المستعان » . ثم التفت إلى القوم الذين جعلوا يتقدمون لتعزيته وقال لهم : ماذا عملك الإنسان غير أن يستسلم للقدر المحتوم ، والقضاء النافذ . إن قلبى يعتاج بالأسى والحزن لفراق ولدى الوحيد ، ولكنها إرادة الله ، الذى لا راد لما قضاه .

تراءى العالم للشيخ إدريس شديد الظلام ، وأخذ الألم يحز فى نفسه ، ولكنه صبر للبلاء ، وصمد للقضاء . وانفرد بالخادم الذى كان يرافق إسحاق وقال له :

— قص علىّ يا بنى ماجرى لكما كما وقع ، ولا تستر عنى شيئاً من الحقيقة ، وقل من ذا الذى فعل هذا بسيدك إسحاق؟ فقال الخادم:

— أننى قد تأخرت عن سيدى إسحاق قليلا ، لأنه أسرع بجواده ، ورأيته من بعيد يتحدث إلى رجل غريب ، لكنى لم أسمع ما دار بينهما ، إلا أننى رأيت سيدى بعد قليل يحاول النزول عن جواده ، وقبل أن يتمكن من ذلك ، قذفه الغريب بسهم قاتل ، فسقط على الأرض مضرجاً بدمائه ، واختفى القاتل بعد أن أدركه ، فانتفض الشيخ انتفاضة شديدة كأنما لدغه عقرب ، وقال والدمع يهمر من عينيه : هذا ابتلاء من الله وعلينا أن لا نسخط على قضاء قضاه .

وأخذ الحاضرون يعزون الشيخ إدريس ، ويسألون له الصبر ثم ينصرفون إلى بيوتهم والهم يعتلج فى قلوبهم والأسى يحز فى نفوسهم . ثم اجتمع الأقارب والأصدقاء من الرجال والنساء حول القتيل يبكون شبابه الغض ، وفتوته الناضجة ، وخرج كثير من أصدقائه يفتشون فى طرقات المدينة وأحراشها عن القاتل الأثيم !

فى الحجرة الأولى عن يمين الداخل إلى المنزل كان اللاجىء المسيحى يرتجف خوفاً وهلعاً ، كلما تعالت أصوات البكاء والعويل ، وتنثال عليه الأفكار السوداء والخواطر المثيرة ، ويقول فى نفسه : ماذا أعمل إذا كانت تلك مناحة القتيل وقد زجت بى المقادير إلى بيته؟ ثم يعاوده شىء من الهدوء ويقول : لو أن الأمر كذلك لدخل علىّ أهله ولمزقونى شر ممزق منذ أن وصل القتيل إلى البيت .

ظلت الأفكار المضطربة تنتاب ذلك اللاجىء شطراً كبيراً من الليل ثم تأكدت مخاوفه وأسرعت خفقات قلبه ، عندما عالج الشيخ باب حجرته ثم فتح مصراعيه ، ودخل عليه وبيده مصباح مضىء . ثم ابتدر الغريب وقال له :

قل لى بربك يا صاح ! أكان الرجل الذى قتلته منفرداً أم كان فى جماعة من أصحابه ؟

— لا لا ! إنه لم يكن وحيداً يا سيدى ، بل كانوا أربعة ، وقد استثاروني فاستعملت السلاح دفاعاً عن نفسى ، ... وإنى أستحلفك بالله أن لا تسلمنى إليهم فإنى برىء ، برىء .

— لا تخش شيئاً فلن أسلمك لأحد ، ولكن هيا اتبعنى قليلا .

قام الرجل متثاقلا . وتبعه متعثراً فى مشيته وكأن رجليه تعجزان عن حمله وكان كلما تقدم وراء الشيخ خطوة ، اعتقد أنه يقترب من الموت خطوات ، وظل كذلك حتى وصل إلى الحجرة التى نقل القتيل إليها ، فدخلها وراء الشيخ فوجد بجانبه أربعة يرتلون آى الذكر الحكيم ، فتقدم إليهم الشيخ وفتح لهم باباً داخلياً وطلب إليهم أن يلجوه ، وأن ينتظروا ريثما يسترجعهم ،

ثم طلب إلى الغريب أن يتقدم إلى سرير القتيل ثم رفع الغطاء عن وجهه وقال له :

— هل هذا الرجل هو الذى أصابه سهمك ؟

عرف الرجل فى المسجى على السرير ضحيته ، فاصفر وجهه ، وتصبب عرقه ، وجف ريقه ، وتلاشت الكلمات فى حلقه ، والتاث عليه مسلك القول ، فقال له الشيخ فى هوادة ورفق :

— قل الحقيقة ولا تخف يا بنى . فليس عليك من بأس ،

— فقال الغريب بصوت متقطع كأنه خارج من جوف بئر :

— ن ... ن ... نعم هو يا سيدى ، ولكن بحق نبيكم محمد ارحمنى واشفق على ؛ فإنى لم أقتله متعمداً ، أنا برىء ، إن هذا الشاب قد ابتدأنى بالشتائم وقد دافعت عن نفسى ...

— لا بأس . لا بأس فلترجع إلى حجرتك ثانياً ؛ فقد بقى من الليل وقت ليس بالقصير ؛ وأنت فى حاجة إلى قسط من الراحة كبير وفى الصباح الباكر إن شاء الله ندبر وسيلة لإنقاذك .

ثم ودع القاتل عند باب حجرته وتمنى له ليلة هانئة . ثم انثنى إلى حجرة القتيل وجلس إلى جواره مع القراء يسترحمون له

— بتلاوة القرآن . بينما أغلق القاتل عليه بابه واستسلم للتفكير فى مصيره وما سيأتى به الغد من أحداث .

نادى المؤذن لصلاة الفجر ، فقام الشيخ إدريس وجدد وضوءه ، واستقبل القبلة ورفع يديه إلى السماء وقال :

« اللهم لا رادّ لقضائك ، ولا سخط على بلائك ، ابتليت فرضينا ، وأمرت فأطعنا ، فالهمنا جميل صبرك ، وثبت قلوبنا على طاعتك ، فلا عون إلا بك ، ولا ملجأ إلا إليك ، إنك أرحم الراحمين ، وأعدل الحاكمين ». ثم صلى لربه فى خشوع واستسلام ولما انتهت صلاته ، أمر أحد رجاله أن يعد أسرع جياده ، وينتظر

— به على باب الحديقة ؛ ومعه إبريق ملىء بالماء . ثم أخذ كيساً ووضع به مبلغاً من المال ، وأحضر سلة وشيئاً من طعام وفاكهة ووضعهما فى السلة ، وذهب إلى حيث الخادم ينتظر بالجواد ؛ وأمره أن تأتيه بالضيف من حجرته .

قضى القاتل ليلة ليلاء لم يتمض له جفن ، ولم يهدأ له بال ، ولم يسكن له خاطر ، فما أن طرق الخادم بابه حتى أيقن أن ساعته قد دنت ، وأن حتفه قد حان ، وتلك آخر لحظاته ، فجثا على ركبتيه ، وصلى على طريقته المسيحية صلاة الوداع لحياته ؛ ثم قام وتابع الخادم وهو يترنح كالسكران من هول مايلاقيه . فلما وصل وجد مضيفه وحاميه ممسكا بعنان الفرس ، متكئاً على جدار الحديقة فما أن أبصر هما حتى صرف الخادم ثم وجه الكلام إلى القاتل فقال:

— أيها الشقى التعس ! ألا فاعلم أن الذى استقر سهمك فى صدره هو ابنى ووحيدى وأنه لم يكن متجنياً عليك ، ولم يبتدرك بإساءة ! ! إنك لا تستطيع أن تتخيل أى دور لعبت فى تدميرى ، وتحطيم قلبى أنا ذلك الشيخ الفانى ، لقد هدمت بنيانى ، وقوضت أركانى ، وفتت كبدى . إن الصراع الناشب فى نفسى ، لا يقدر قدره ولا يبلغ مداه ... هذا وحيدى وسندى فى الحياة جثة هامدة بين عينىّ ، تناديني روحه من عليائها أن أنتقم له ، وهذا قاتله بين يدى ، وفى حوزتى ، ولكن يمنعنى من الثأر منه ذلك العهد الذى قطعته على نفسى أن أحميه ... كان إسحاق رطيب الغصن ، ناضج الشباب وكنا نبنى عليه صروح الآمال ونعلق عليه كل رجاء لنا فى الحياة ، ولكنك هدمت صروحنا وقطعت رجاءنا ... إن الدم يغلى فى عروقى غضباً عليك ، وإن نوازع الشر تصرخ بى أن أثأر منك ، لكن صوت الضمير يملأ نفسى ، ويغمر قلبى ، إنى عاهدتك باسم الله وبمكانة محمد نبيه ، أن أحميك من كل شر ، وأن أدفع عنك كل سوء ، وقد استجبت أخيراً لنداء ضميرى ، فإنى لا أحب أن يقال : إن مسلماً استهان باسم الله وبكرامة محمد نبيه ، فأخلف وعده ، وغدر فى عهده ولوث سمعة المسلمين .. هاك خير جهادى ، وهذه سلة فيها طعام وفاكهة ، وذى نقود قد تحتاجها فى سفرك . وإن إسحاق كان أحب إلىّ من حياتى ، ولكنى عفوت عنك « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » وتعاليم الإسلام أحب إلى قلبى ، حتى من نفسى ...

وهبى اسماعيل حفنى

إعلان

وزارة الزراعة تشهر للبيع بالمزاد العلنى ثمار موالح حديقة تفتيش سخا (غربية) بالجلسة التى ستعقد بديوان التفتيش المذكور يوم ١٥ سبتمبر القادم — فعلى راغبى الشراء معاينة الثمار بمحل وجوده قبل الجلسة — وتطلب الاستعلامات والشروط من التفتيش أو من الوزارة (قسم المزارع) .

٧٨٣٦

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

ان الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى بأجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق وقد هيأتها المصلحة للعملن الذى يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيهاً وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيهاً فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الاعلانات

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة